

مَفْهُومٌ

الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَالْعَمَلُ السَّيِّئُ

مَجْمُوعُ دَرَرَاتٍ
مِنْ خُطْبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فِضِيلَةِ الشَّيْخِ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسِيدِ الْأَنْ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى

الْمُحَرَّرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

اِسْتِخْلَافُ اللَّهِ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ وَتَكْرِيمُهُ

فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَكَرَّمَهُ وَسَخَّرَ لَهُ مَا خَلَقَهُ، وَأَنَاطَ بِهِ مِهُمَّةَ عِمَارَةِ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَخْلَفَهُ فِيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وَهَذَا الْخَلِيفَةُ هُوَ آدَمُ وَبَنُو آدَمَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]؛ أَي: جَعَلَكُمْ فِيهَا لِتَعْمُرُوهَا، وَمَكَّنَكُمْ بِمَا آتَاكُمْ مِنْ عِمَارَتِهَا.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠].

وَهَذَا التَّسْخِيرُ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ كُلَّ مَظَاهِرِ التَّكْرِيمِ لِهَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْأَرْضِ لِعِمَارَتِهَا، وَعِمَارَتُهَا بِعِبَادَةِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا، وَبِالْقِيَامِ عَلَى مَا يُصْلِحُهَا.

وَقَدْ زَوَّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الْإِنْسَانَ بِكُلِّ وَسَائِلِ الْاِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، وَسَلَّحَهُ بِكُلِّ أَدَوَاتِ الْمَعْرِفَةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى قِيَادَةِ دِفَّةِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَإِدَارَةِ دَوَالِبِ الْعَمَلِ فِيهَا، وَلِكِنِّي لَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنْزَلَ

عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، فِيهَا الشَّرَائِعُ وَالْحَقُّ الْمُبِينُ، وَعَلَّمَهُمْ أُصُولَ التَّعَايُشِ وَمَبَادِيِ التَّعَامُلِ، وَلَفَتْ أَنْظَارَهُمْ إِلَى ضَرُورَةِ الْإِلْتِزَامِ بِآدَابِ الشَّرَائِعِ وَالْأَدْيَانِ، وَلَمْ يُبَحِّ لْأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ طَائِعًا مُخْتَارًا، وَأَشْعَرَهُمْ عِظَمَ الْمَسْئُورِيَّةِ عَنِ الْإِخْلَالِ وَالتَّقْصِيرِ، فَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّوكَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. (*)

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وَنُقَسِّمُ مُؤَكِّدِينَ أَنَّ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ بِالْعَقْلِ، وَالنُّطْقِ، وَالتَّمْيِيزِ، وَاعْتِدَالِ الْقَامَةِ، وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَبِتَسْخِيرِ جَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ لَهُمْ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ عَلَى الدَّوَابِّ وَالْمَرَاقِبِ الَّتِي هَدَيْنَاهُمْ إِلَيْهَا صُنْعَهَا، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ عَلَى السُّفُنِ، وَرَزَقْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ لَذِيزِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاجِحِ، وَمُمْتِعَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرِ الْحَوَاسِّ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ تَفْضِيلًا عَظِيمًا. (٢/*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٢ هـ | ٢١-١-

٢٠١١ م.

(٢/*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيلُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الإسراء: ٧٠].

أَمَانَةُ الْإِنْسَانِ الثَّقِيلَةِ وَسُبُلُ الْوَفَاءِ بِهَا

لَقَدْ تَحَمَّلَ الْإِنْسَانُ أَمَانَةً ثَقِيلَةً، «عُرِضَتْ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ؛ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ عَرْضٌ تَخْيِيرٌ لَا تَحْتِيمٌ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا؛ خَوْفًا أَلَّا يَقُمْ بِمَا حُمِّلْنَ، لَا عِصْيَانًا لِرَبِّهِنَّ، وَلَا زُهْدًا فِي ثَوَابِهِ»^(١)، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ الَّتِي ائْتَمَنَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْمُكَلَّفِينَ؛ بِأَنْ يَعْبُرُوا رِحْلَةَ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْإِرَادَةَ وَالْإِخْتِيَارَ، وَقُدْرَاتِ الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ، عَلَى أَنْ تُسَخَّرَ لَهُمْ -بِخَلْقِ اللَّهِ- الْأَشْيَاءُ وَالْقُوَى فِي ذَاتِ أَنْفُسِهِمْ وَفِي الْكَوْنِ مِنْ حَوْلِهِمْ؛ لِيُمْتَحِنُوا فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعِبَادَةِ.

فَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ؛ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى الْخُلُودِ فِي النَّارِ، وَمَنْ آمَنَ وَكَسَبَ فِي إِيْمَانِهِ خَيْرًا؛ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى الْخُلُودِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

عَرَضْنَا تِلْكَ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ -وَكَانَ الْعَرْضُ عَلَيْهِنَّ تَخْيِيرًا لَا إِلْزَامًا-، فَأَبَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ -رَغْمَ كِبَرِهَا

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ»: (ص ٣١٩)، بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

وَصَخَامَتِهَا - مِنْ حَمَلِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ؛ بَلْ خَفَنَ مِنْ حَمْلِهَا بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُنَّ اللَّهُ الْقُدْرَةَ عَلَى إدْرَاكِهَا؛ إِذْ لَا تَمْلِكُ اسْتِعْدَادًا فِطْرِيًّا لِحَمَلِ الْأَمَانَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ إِرَادَةً وَاخْتِيَارًا حَتَّى تُخْتَبِرَ أَمَانَتُهَا وَخِيَانَتُهَا.

وَحَمَلَ الْإِنْسَانُ الْأَمَانَةَ؛ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ الْإِسْتِعْدَادَ الْفِطْرِيَّ الْكَامِلَ لِحَمَلِ الْأَمَانَةِ بِمَا مَنَحَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ خَصَائِصِ التَّفَكِيرِ وَالْعَقْلِ، وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِ الْأَشْيَاءِ، وَالْإِرَادَةِ وَالْاخْتِيَارِ مِمَّا يَسْتَطِيعُ التَّصَرُّفَ فِيهِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ أَوْ بِفِعْلِ الشَّرِّ. وَإِذْ وَضَعَ اللَّهُ هَذِهِ الْخَصَائِصَ أَمَانَةً تَحْتَ يَدِهِ؛ وَضَعَ لَهُ مِنْهَا جَا يَسِيرُ عَلَيْهِ.

فَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْإِنْسَانُ مَا اسْتَوْدَعَ اللَّهُ إِرَادَتَهُ مِنْ قُوَى وَطَاعَاتٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَفِيمَا أَذِنَ لَهُ بِهِ؛ فَإِنَّهُ يُشَبِّهُ أَنَّهُ صَاحِبُ أَمَانَةٍ، أَمَّا إِذَا اسْتَعْمَلَهَا فِيمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ، أَوْ فِيمَا فِيهِ ظُلْمٌ أَوْ عُدْوَانٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؛ فَهُوَ خَائِنٌ فِيمَا اسْتَأْمَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَجَعَلَهُ وَدِيعَةً عِنْدَهُ.

إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا لِنَفْسِهِ؛ لِكَثْرَةِ خِيَانَتِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَعُدْوَانِهِ عَلَى حُقُوقِهَا؛ اسْتِجَابَةً لِأَهْوَائِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَوَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ، جَهْلًا بِأَمْرِ رَبِّهِ، لَمْ يَتَبَصَّرْ بِعَوَاقِبِ ظُلْمِهِ، وَلَمْ يَحْسِبْ حِسَابًا لِمَسْئُولِيَّتِهِ، وَلَمْ يَخْشَ عِقَابَ رَبِّهِ كَمَا هُوَ الْمُشَاهِدُ فِي وَصْفِ مُعْظَمِ النَّاسِ. (*)

فَالْأَمَانَةُ الَّتِي حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ هِيَ أَمَانَةُ التَّكْلِيفِ، «وَقَدْ عَظَّمَ -تَعَالَى- شَأْنَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ الَّتِي اتَّعَمَّنَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْمُكَلَّفِينَ، الَّتِي هِيَ امْتِثَالُ الْأَوْامِرِ، وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ فِي

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأحزاب:

حَالِ السِّرِّ وَالْخَفِيَّةِ كَحَالِ الْعَلَانِيَةِ»، وَهَذِهِ الْأَمَانَةُ تَقْتَضِي تَوْحِيدَ اللَّهِ، وَعِبَادَتَهُ، وَالْعَمَلَ وَالسَّعْيَ لِإِعْمَارِ الْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِلْعِبَادَةِ؛ فَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْإِعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ» (١). (*)

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. يَعْنِي: فَإِذَا فُرِغَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ؛ فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ لِلتَّجَارَةِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ، وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ، وَاطْلُبُوا رِزْقَ اللَّهِ بِأَنَاءٍ وَرِفْقٍ، مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ رَغْبَةً فِي الْفَوْزِ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (*) (٢).

وَجَعَلَ اللَّهُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً لِلْبَشَرِ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ؛ مِنْ أَجْلِ حِرَاثَةِ الْأَرْضِ وَزِرَاعَتِهَا وَتَعْمِيرِهَا، وَمِنْ أَجْلِ تَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ. وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

(١) مُقَدِّمَةُ «رِيَاضِ الصَّالِحِينَ»: (ص ٢٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَطْهِيرُ الْقَلْبِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ - ١٩-٦-٢٠١٥ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الجمعة: ١٠].

فَالْمُسْلِمُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُومُ بِهِ فِي حَيَاتِهِ مِنْ عَمَلٍ فَهُوَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ أَوْ سَيِّئَاتِهِ، يَقُولُ -جَلَّ شَأْنُهُ-: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وَهَذَا شَامِلٌ عَامٌّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا رَأَى مِثْقَالَ الذَّرَّةِ الَّتِي هِيَ أَحَقَرُ الْأَشْيَاءِ، وَجُوزِي عَلَيْهَا؛ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأَحْرَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَهَذَا فِيهِ التَّرْغِيبُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ وَلَوْ قَلِيلًا، وَالتَّرْهيبُ مِنْ فِعْلِ الشَّرِّ وَلَوْ حَقِيرًا. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْعَلَامَةِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ): الثَّلَاثَاءُ ٩ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ | ٢٣-٢-٢٠١٠م.

مَفْهُومُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الْإِسْلَامِ

الْعَمَلُ الصَّالِحُ: هُوَ الْإِحْسَانُ، وَهُوَ فِعْلُ الْحَسَنَاتِ.

وَالْحَسَنَاتُ: هِيَ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرٌ إيجابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ.

فَمَا كَانَ مِنَ الْبِدْعِ فِي الدِّينِ الَّتِي لَيْسَتْ مَشْرُوعَةً؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهَا وَلَا رَسُولُهُ، فَلَا تَكُونُ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَلَا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا أَنَّ مَنْ يَعْمَلُ مَا لَا يَجُوزُ - كَالْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ -؛ لَيْسَ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَلَا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]؛ فَهُوَ إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لَوَجْهِكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا».

وَقَالَ فَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ^(١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِبَلَّوْكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]: قَالَ: «أَخْلَصُهُ وَأَصَوَّبُهُ».

(١) الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ بْنُ مَسْعُودٍ بْنِ بَشِيرٍ، التَّمِيمِيُّ، ثُمَّ الْيَرْبُوعِيُّ، خُرَاسَانِيُّ، مِنْ نَاحِيَةِ مَرَوْ، الزَّاهِدُ الْمَشْهُورُ، أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ.

قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ! مَا أَخْلَصَهُ وَأَصُوبُهُ؟!*

قَالَ: «إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا؛ لَمْ يُقْبَلْ، وَإِنْ كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا؛ لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ». (*)

إِذَنْ؛ الْعَمَلُ الصَّالِحُ: هُوَ الَّذِي جَمَعَ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ، وَالْمُتَابَعَةَ لِلرَّسُولِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالْآلِهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِاعْتِقَادِ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، وَتَصَدِيقِهِ وَتَصَدِيقَ رَسُولِهِ

=

قَالَ ابْنُ نَاصِرٍ الدِّينِ: الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ إِمَامُ الْحَرَمِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، قُدْوَةُ الْأَعْلَامِ، حَدَّثَ عَنْهُ الشَّافِعِيُّ، وَيَحْيَى الْقَطَّانُ، وَغَيْرُهُمَا. وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنْهُ.

وَقَالَ شَرِيكَ: هُوَ حُجَّةٌ لِأَهْلِ زَمَانِهِ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: ثِقَةٌ بِلَا نِزَاعٍ.

وَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: مَا أَزْهَدَكَ!

قَالَ: أَنْتَ أَزْهَدُ مِنِّي، لِأَنِّي زَهَدْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَأَنْتَ زَهَدْتَ فِي الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ.

وَمِنْ أَقْوَالِهِ: تَرَكَ الْعَمَلَ لِأَجْلِ النَّاسِ هُوَ الرِّيَاءُ، وَالْعَمَلَ لِأَجْلِ النَّاسِ هُوَ الشَّرْكُ.

وَقَالَ: إِنِّي لَا عَصِيَّ لِلَّهِ فَاجِدُ ذَلِكَ فِي خُلُقِي دَابَّتِي وَامْرَأَتِي.

وَتَوَفَّى الْفُضَيْلُ بِمَكَّةَ، فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ الْعُبُودِيَّةِ» (ص: ٨٧-٨٨).

فِي كُلِّ خَبَرٍ أَخْبَرَا بِهِ عَمَّا مَضَى، وَعَمَّا يُسْتَقْبَلُ عَنِ الرُّسُلِ، وَالْكَتُبِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَأَحْوَالِ الْآخِرَةِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ يَسْعَى فِي أَدَاءِ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ؛ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ، وَحُقُوقِ خَلْقِهِ، وَيُكْمِّلُ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ وَالتَّطَوُّعَاتِ؛ خُصُوصًا الْمُؤَكَّدَةِ فِي أَوْقَاتِهَا، مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ عَلَى فِعْلِهَا، وَعَلَى تَحْقِيقِهَا وَتَكْمِيلِهَا، وَفِعْلِهَا عَلَى وَجْهِ الْإِخْلَاصِ الَّذِي لَا يَشُوْبُهُ غَرَضٌ مِنَ الْأَغْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ.

وَكَذَلِكَ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ؛ وَخُصُوصًا الَّتِي تَدْعُو إِلَيْهَا النُّفُوسُ، وَتَمِيلُ إِلَيْهَا، فَيَتَقَرَّبُ إِلَى رَبِّهِ بِتَرْكِهَا لِلَّهِ، كَمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ.

فَمَتَى وَفَّقَ الْعَبْدُ لِسُلُوكِ هَذَا الطَّرِيقِ فِي الْعَمَلِ، وَاسْتَعَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ؛ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَكَانَ كَمَالُهُ بِحَسَبِ مَا قَامَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَنَقْصُهُ بِحَسَبِ مَا فَاتَهُ مِنْهَا. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ بَهْجَةِ قُلُوبِ الْأَبْرَارِ وَقُرَّةِ عُيُونِ الْأَخْيَارِ فِي شَرْحِ جَوَامِعِ الْأَخْبَارِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)، الْحَمِيسُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٤هـ | ٥-٩-٢٠١٣م.

جُمْلَةٌ مِنْ صُورِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ

عِبَادَ اللَّهِ! لَا شَكَّ أَنَّ مَفْهُومَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الْإِسْلَامِ وَاسِعٌ، فَيَشْمَلُ الْحَيَاةَ كُلَّهَا، قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- (١): «إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ الصَّلَاةُ، وَالصَّيَامُ، وَنَحْوُهُمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ فَقَطْ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَدْخُلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي عِبَادَةِ مَوْلَاكَ، لَا تُفَرِّطْ فِيهَا، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي إِخْوَانِكَ، لَا تُؤْذِ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي بَلَدِكَ، لَا تَخُنْهُ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِ عَدُوًّا، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، وَلَا تُهْمِلْ فِي صِحَّتِكَ، وَلَا تَتَخَلَّقْ بِسَوَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ». (*)

كُلُّ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الْبِرِّ، وَالْبِرِّ يُطْلَقُ بِاعْتِبَارَيْنِ مُعَيَّنَيْنِ:

* أَحَدُهُمَا: بِاعْتِبَارِ مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ: وَذَلِكَ يَكُونُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَرُبَّمَا خُصَّ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، فَيُقَالُ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَيُطْلَقُ كَثِيرًا عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ عُمُومًا.

(١) «وَصَايَا الْأَبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ أَوْ الدُّرُوسُ الْأَوَّلِيَّةُ فِي الْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ». الطَّبَعَةُ الْأُولَى (١٤١٥هـ)، مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ: الرَّيَاض - (ص ٢٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «حُبُّ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ مِنَ الْإِيمَانِ» - طَبَعَتْهُ مَكْتَبَةُ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى ٢٠٠٨م.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «الْبِرُّ شَيْءٌ هَيْنٌ: وَجْهُ طَلِيقٌ، وَكَلَامٌ لَيِّنٌ»^(١).

وَإِذَا قُرِنَ الْبِرُّ بِالتَّقْوَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾
[المائدة: ٢]؛ فَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْبِرِّ: مُعَامَلَةُ الْخَلْقِ بِالْإِحْسَانِ، وَبِالتَّقْوَى: مُعَامَلَةُ
الْحَقِّ بِفِعْلِ طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

وَقَدْ يَكُونُ أَرِيدَ بِالْبِرِّ: فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ، وَبِالتَّقْوَى: اجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

قَدْ يُرَادُ بِالْإِثْمِ: الْمَعَاصِي، وَبِالْعُدْوَانِ: ظُلْمُ الْخَلْقِ.

وَقَدْ يُرَادُ بِالْإِثْمِ: مَا هُوَ مُحَرَّمٌ فِي نَفْسِهِ؛ كَالزَّانَا، وَالسَّرِيقَةَ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ،
وَبِالْعُدْوَانِ: تَجَاوُزُ مَا أُذِنَ فِيهِ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ مِمَّا جُنُسُهُ مَأْذُونٌ فِيهِ؛ كَقَتْلِ مَنْ
أُيِّحَ قَتْلُهُ لِقِصَاصٍ، وَمَنْ لَا يُبَاحُ، وَأَخْذُ زِيَادَةٍ عَلَى الْوَاجِبِ مِنَ النَّاسِ فِي الزَّكَاةِ
وَنَحْوِهَا، وَمُجَاوَزَةُ الْجُلْدِ فِي الَّذِي أُمِرَ بِهِ فِي الْحُدُودِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي مِنَ مَعَانِي الْبِرِّ: أَنْ يُرَادَ بِهِ فِعْلُ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ الظَّاهِرَةِ
وَالْبَاطِنَةِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصِّمْتِ»: رَقْم (٣١٦)، وَفِي «مُدَارَاةِ النَّاسِ»: رَقْم (١٠٩)،

وَالْخِرَاطِيُّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»: رَقْم (١٤٨)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»:

١٠/٤٠٤-٤٠٥، رَقْم (٧٧٠٢)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ»: ٣١/١٧٦-١٧٧،

تَرْجَمَةُ (٣٤٢١)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤُوتَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

فَالْبِرُّ بِهَذَا الْمَعْنَى يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ الْبَاطِنَةِ؛ كَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالطَّاعَاتِ الظَّاهِرَةِ؛ كَالْإِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ فِيمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْأَقْدَارِ؛ كَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ، وَعَلَى الطَّاعَاتِ؛ كَالصَّبْرِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «التَّعْلِيقُ وَالتَّهْذِيبُ عَلَى جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» - الْمُحَاضَرَةُ ٤٢
الْإِثْنَيْنِ ١٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣ هـ / ٦-٨-٢٠١٢ م.

أَعْظَمُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ:

تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ

إِنَّ أَعْظَمَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَأَعْلَاهَا عِنْدَ اللَّهِ: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ؛ فَإِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ الْفَرَضُ الْأَعْظَمُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبِيدِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَهُ مِنَ الْآثَارِ الْحَسَنَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمُتَنَوِّعَةِ مِثْلَ مَا لِلتَّوْحِيدِ؛ فَإِنَّ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ ثَمَرَاتِ التَّوْحِيدِ وَفَضَائِلِهِ. (*)

فَمَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ -عِبَادَ اللَّهِ-؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ وَتَخْلِيصُهُ مِنَ الشُّرْكِ مُوجِبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ يَرْجُو ذَلِكَ وَيَطْمَعُ فِيهِ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَحَقِّقَ التَّوْحِيدَ فِي حَيَاتِنَا.

وَحَقَّقَ التَّوْحِيدَ: أَيُّ: هَذَبَهُ وَنَقَّاهُ، وَخَلَّصَهُ مِنْ شَوَائِبِ الشُّرْكِ، وَمِنَ الْبِدَعِ وَالْمَعَاصِي؛ فَخَلَّصَ تَوْحِيدَهُ مِنَ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ الَّذِي يُنَافِي التَّوْحِيدَ وَيُضَادُّهُ، وَمِنَ الشُّرْكِ الْأَصْغَرِ الَّذِي يُنَافِي كَمَالَهُ، وَمِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي تُكَدِّرُ التَّوْحِيدَ فَتَنْقُصُهُ وَتُضَعِّفُهُ. (*)(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ السُّنَّةِ لِلْحَمِيدِيِّ» - (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى)، الْإِثْنَيْنِ ٩ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ | ٢١-١-٢٠١٣م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - (الْمُحَاضَرَةُ ٦: بَابُ: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ) - الْأَحَدُ ٢٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ | ٢٠-٧-٢٠١٤م.

تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ: تَخْلِيصُهُ مِنَ الشَّرْكِ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

الْأَوَّلُ: الْعِلْمُ؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُحَقِّقَ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ تَعْلَمَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

الثَّانِي: الْإِعْتِقَادُ؛ فَإِذَا عَلِمْتَ، وَلَمْ تَعْتَقِدْ، وَاسْتَكْبَرْتَ؛ لَمْ تُحَقِّقِ التَّوْحِيدَ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْكَافِرِينَ: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

الثَّالِثُ: الْإِنْقِيَادُ؛ فَإِذَا عَلِمْتَ، وَاعْتَقَدْتَ، وَلَمْ تَنْقُدْ؛ لَمْ تُحَقِّقِ التَّوْحِيدَ، قَالَ

تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا

إِلَهَتِنَا السَّاعِرِ تَجْنُونَ﴾ [الصفات: ٣٥-٣٦].

فَإِذَا حَصَلَ هَذَا وَحَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ مَضْمُونَةٌ لَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا

يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ هَذَا حِكَايَةُ حُكْمٍ ثَابِتٍ شَرْعًا، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ

لِلرَّجُلِ الْمُعَيَّنِ؛ فَإِنَّا نَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (*)

وَمِنْ أَجْلِ فَوَائِدِ التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ يَمْنَعُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ إِذَا كَانَ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ

أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ، وَإِذَا كَمُلَ فِي الْقَلْبِ؛ مَنَعَ دُخُولَ النَّارِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَمَا

مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ وَتَكْفِيرُهَا إِلَّا مِنْ بَعْضِ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ وَآثَارِهِ.

وَالتَّوْحِيدُ هُوَ السَّبَبُ الْأَعْظَمُ لِتَفْرِيجِ كُرْبَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَدَفْعِ

عُقُوبَتَيْهِمَا، وَهُوَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِنَيْلِ رِضَا اللَّهِ وَثَوَابِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيلِ عَلَى كِتَابِ: «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَى كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - الْمُحَاضَرَةُ

الْخَامِسَةُ.

وَأَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ.
وَجَمِيعُ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مُتَوَقِّفَةٌ فِي قَبُولِهَا، وَفِي كَمَالِهَا،
وَفِي تَرْتُّبِ الثَّوَابِ عَلَيْهَا عَلَى التَّوْحِيدِ، فَكُلَّمَا قَوِيَ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ؛
كَمَلَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَتَمَّتْ.

وَالتَّوْحِيدُ يُسَهِّلُ عَلَى الْعَبْدِ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَيُسَلِّهِ عَنِ
الْمُصِيبَاتِ، فَالْمُخْلِصُ لِلَّهِ فِي إِيْمَانِهِ وَتَوْحِيدِهِ تَخَفُّ عَلَيْهِ الطَّاعَاتُ؛ لِمَا يَرْجُو
مِنْ ثَوَابِ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ تَرْكُ مَا تَهَوَّاهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَعَاصِي؛ لِمَا
يَخْشَى مِنْ سُخْطِهِ وَعِقَابِهِ.

وَمَتَى كَمَلَ التَّوْحِيدُ فِي الْقَلْبِ؛ حَبَبَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْإِيْمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ،
وَكَرَّهَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَجَعَلَهُ مِنَ الرَّاشِدِينَ، فَالتَّوْحِيدُ يُخَفِّفُ
عَنِ الْعَبْدِ الْمَكَارِهِ، وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ الْأَلَامَ، وَبِحَسَبِ تَكْمِيلِ الْعَبْدِ لِلتَّوْحِيدِ
وَالْإِيْمَانِ؛ يَكُونُ تَلْقِيهِ لِلْمَكَارِهِ وَالْأَلَامِ بِقَلْبٍ مُنْشَرِحٍ وَنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ، وَتَسْلِيمٍ
وَرِضًا بِأَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ.

وَالتَّوْحِيدُ يُحَرِّرُ الْعَبْدَ مِنْ رِقِّ الْمَخْلُوقِينَ، وَالتَّعَلُّقِ بِهِمْ، وَخَوْفِهِمْ،
وَرَجَائِهِمْ، وَالْعَمَلِ لِأَجْلِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْعِزُّ الْحَقِيقِيُّ وَالشَّرَفُ الْعَالِي.

وَقَدْ تَكَفَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعِزِّ وَالشَّرَفِ،
وَحُصُولِ الْهِدَايَةِ، وَالتَّيْسِيرِ لِلْيُسْرَى، وَإِصْلَاحِ الْأَحْوَالِ، وَالتَّسْدِيدِ فِي الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ.

وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- يَدْفَعُ عَنِ الْمُوَحِّدِينَ أَهْلَ الْإِيمَانِ.. يَدْفَعُ عَنْهُمْ شُرُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَمُنُّ عَلَيْهِمْ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَالطَّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ، وَالْإِطْمِئْنَانِ بِذِكْرِهِ، وَالشُّرْكَ عَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ السُّنَّةِ لِلْحَمِيدِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى - الْإِثْنَيْنِ ٩ مِنْ رَبِيعِ

الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ / ٢١-١-٢٠١٣م.

مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَالتَّوَافِلِ

إِنَّ مِمَّا يَشْمَلُهُ مَفْهُومُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ: مَا فَرَضَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ؛ مِنْ صَلَاةٍ، وَزَكَاةٍ، وَصَوْمٍ، وَحَجٍّ، وَذِكْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ! ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا فِي صَلَاتِكُمْ، وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاكْسَبُوا بِإِرَادَاتِكُمْ كُلِّ عَمَلٍ قَلْبِيٍّ أَوْ جَسَدِيٍّ يُحَقِّقْ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا بَاقِيًا، وَسَعَادَةً خَالِدَةً، وَثَوَابًا حَسَنًا، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الْعَمَلُ شَاقًّا أَوْ مُضْنِيًّا أَوْ مُؤْلِمًا؛ رَغْبَةً مِّنَّا فِي أَنْ تَسْعُدُوا وَتَفُوزُوا بِالْجَنَّةِ. (*)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[النور: ٥٦].

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الحج: ٧٧].

قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - (١): «يُخْبِرُ تَعَالَى بِمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ؛ بِأَنَّهُ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّيَّامَ كَمَا فَرَضَهُ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَوَامِرِ الَّتِي هِيَ مَصْلَحَةٌ لِلْخَلْقِ فِي كُلِّ زَمَانٍ». (*)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [ل عمران: ٩٧].

وَقَالَ ﷺ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٣): «أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا». (*) (٢).

وَمِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: آدَاءُ النَّوَافِلِ؛ فَمِنْ دَلَائِلِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْإِكْتِسَارُ مِنَ النَّوَافِلِ بَعْدَ آدَاءِ الْفَرَائِضِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ آدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: ص ٨٦.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دَعْوَةُ الْإِخْوَانِ لِلتَّوْبَةِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ | ١٢-٦-٢٠١٥م.

(٣) «صحيح مسلم» (١٣٣٧).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْحَجُّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٣هـ | ١٢-١٠-٢٠١٢م.

لَأُعْطِيَنَّهُ - وَهَذَا فِي تَحْصِيلِ الْمَحْبُوبِ -، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ - وَهَذَا فِي الْوَقَايَةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ -»^(١).

فَجَعَلَ لَهُ الْخَيْرَ بِحَذْفِ فِعْرِهِ لَمَّا أَتَى بِمُوجِبِ مَحَبَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَا زِمَهَا.

وَقَدْ بَيَّنَّ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ الْأَعْمَالَ تَتَفَاضَلُ فِي جِنْسِهَا، فَلَيْسَتْ الْفَرَائِضُ كَالنَّوَافِلِ، فَجِنْسُ الْفَرَائِضِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ جِنْسِ النَّوَافِلِ، ثُمَّ إِنَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ تَتَفَاضَلُ بِالنَّوْعِ؛ فَالصَّلَاةُ مِنَ الْفَرَائِضِ هِيَ أَفْضَلُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي نَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهِيَ - أَيْضًا - تَتَفَاضَلُ نَوْعًا كَمَا تَفَاضَلَتْ جِنْسًا.

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيَّنَّ لَنَا أَنَّهُ لَا يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ بِأَحَبِّ مِمَّا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَنْ يُؤَدِّيَ الْإِنْسَانُ مَا فَرَضَ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ، يَأْتِي بِهَا مُقِيمًا إِيَّاهَا كَمَا جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. (*)

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١١ / ٣٤٠ - ٣٤١، رقم ٦٥٠٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ...» الْحَدِيث.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ

رَجَبٍ ١٤٢٩ هـ / ١٨ - ٧ - ٢٠٠٨ م.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(١) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ -أَي: نِصْفُهُ-، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمَعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا». (*)



(١) «صحيح مسلم»: كتاب الطهارة، بابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، رقم (٢٢٣).

وفي رواية للترمذي في «الجامع»: كتاب الدعوات، باب ٨٦، رقم (٣٥١٧): «الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمَانِ...»، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وفي رواية للنسائي في «المجتبى»: كتاب الزكاة، بابُ وَجُوبِ الزَّكَاةِ، رقم (٢٤٣٧)، ولابن ماجه في «السنن»: كتاب الطهارة، بابُ: الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، رقم (٢٨٠)، بلفظ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الْإِيمَانِ...».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصْرِيفٍ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ الطَّهَارَةِ مِنَ الْفَقْهِ الْمَيْسَرِ» - الْمَحَاضِرَةُ الْأُولَى -

الْإِثْنَيْنِ ١٥ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٢ هـ | ١٨-٤-٢٠١١ م.

مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ:

ذِكْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ مِنْ أَجَلِ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ اللَّهِ: ذِكْرُهُ ﷻ؛ فَذِكْرُ اللَّهِ أَصْلُ عَظِيمٍ قَدَرُهُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيَّنَّ لَنَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ أَنَّ الْعِبَادَاتِ إِنَّمَا شُرِعَتْ لِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَذَكَرَ ذَلِكَ جَلَّ وَعَلَا نَصًّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّلَاةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَجِّ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ، فَالْمَقْصِدُ: أَنْ يُذَكَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ، وَأَنْ يُعْبَدَ فَلَا يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ. (*)

«يَأْمُرُ -تَعَالَى- الْمُؤْمِنِينَ بِذِكْرِهِ ذِكْرًا كَثِيرًا؛ مِنْ تَهْلِيلٍ، وَتَحْمِيدٍ، وَتَسْبِيحٍ، وَمِنْ كُلِّ قَوْلٍ فِيهِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَأَقْلُ ذَلِكَ أَنْ يُلَازِمَ الْإِنْسَانُ أَوْرَادَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَأَوْرَادَ أَذْبَارِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَعِنْدَ الْعَوَارِضِ وَالْأَسْبَابِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عِبَادَةٌ يَسْبِقُ بِهَا الْعَامِلُ وَهُوَ مُسْتَرِيحٌ، وَكَفَّ اللِّسَانَ عَنِ الْكَلَامِ الْفَيْحِ» (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَّةُ: آدَابُ الذِّكْرِ)، الْأَحَدُ ١٩ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨ هـ / ١٠-٩-٢٠١٧ م.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص ٦٦٧).

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسِيِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٥]؛ فَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمِنْ كُلِّ عَمَلٍ، وَأَجْرُهُ فَوْقَ كُلِّ أَجْرٍ، وَهُوَ لَيْسَ كَبِيرًا فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ أَكْبَرُ، وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ وَالْمُفَسِّرُونَ عِدَّةَ مَعَانٍ هِيَ جَدِيرَةٌ بِالْإِهْتِمَامِ تَوْضُحُ كَوْنِ الذِّكْرِ أَكْبَرُ، فَمِنْ ذَلِكَ:

* أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ.

* أَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّكُمْ إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ ذَكَرْتُمْ، فَكَانَ ذِكْرُهُ لَكُمْ أَكْبَرَ مِنْ ذِكْرِكُمْ لَهُ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

* أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَبْقَى مَعَهُ فَاحِشَةٌ وَمُنْكَرٌ؛ بَلْ إِذَا تَمَّ الذِّكْرُ مَحَقَ كُلَّ خَطِيئَةٍ وَمَعْصِيَةٍ. (*)

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم:
«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمَحَاضِرَةُ الْأُولَى: مُقَدِّمَةُ الْمُصَنَّفِ)، الْأَحَدُ ١٩ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨ هـ / ١٠-٩-٢٠١٧ م.

(٢) «صحيح البخاري»: (١٣ / ٣٨٤)، رقم (٧٤٠٥)، و«صحيح مسلم»: (٤ / ٢٠٦١) - ٢٠٦٢، رقم (٢٦٧٥).

أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي^(١)، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي^(٢)، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي^(٣)، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ^(٤)، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً^(٥)».

=

وفي رواية عند مسلم بلفظ: «...، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولٌ»، وزاد في رواية: «...، وَاللَّهُ، لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَحْدُ ضَالَّتُهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا...» الحديث.

(١) «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي»: أَي: الْمُؤْمِنِ «بِي»، وَالْمَعْنَى: أَنِّي عِنْدَ يَقِينِهِ لِي فِي الْإِعْتِمَادِ عَلَى فَضْلِي، وَالِاسْتِثْقَاءِ بِوَعْدِي، وَالرَّهْبَةِ مِنْ وَعِيدِي، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدِي، أُعْطِيهِ إِذَا سَأَلَنِي، وَأَسْتَجِيبُ لَهُ إِذَا دَعَانِي، أَي: إِذَا رَسَخَ الْعَبْدُ فِي مَقَامِ التَّوْحِيدِ، وَتَمَكَّنَ فِي الْإِيمَانِ وَالْوُثُوقِ بِاللَّهِ قُرْبَ مِنْهُ وَرَفَعَ لَهُ الْحِجَابَ بِحَيْثُ إِذَا دَعَاهُ أَجَابَ، وَإِذَا سَأَلَهُ اسْتَجَابَ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: «عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لَهُ».

(٢) «وَأَنَا مَعَهُ»، أَي: بِالتَّوْفِيقِ وَالْحِفْظِ وَالْمَعُونَةِ أَوْ أَسْمَعَ مَا يَقُولُهُ، أَوْ عَالِمٌ بِحَالِهِ لَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ مَقَالِهِ، «إِذَا ذَكَرَنِي»، أَي: بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ.

(٣) «ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»، أَي: أَسِرُّ بِثَوَابِهِ عَلَى مَنَوَالِ عَمَلِهِ، وَأَتَوَلَّى بِنَفْسِي إِثَابَتَهُ لَا أَكَلُهُ إِلَى غَيْرِي.

(٤) «وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ»، أَي: مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ فِي حَضْرَتِهِمْ، «ذَكَرْتُهُ»، أَي: بِالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ وَإِعْطَاءِ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَحُسْنِ الْقَبُولِ وَتَوْفِيقِ الْوُصُولِ، «فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ»، أَي: مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ.

(٥) «وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ» بتشديد الياء «شَبْرًا»، أَي: مقدار شبر، وهو: قدر بعد ما بين رأس الخنصر ورأس الإبهام والكف مبسوطة مفرقة الأصابع، «تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا»، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرْعًا» بكسر الذال المعجمة، أَي: بقدر ذراع، وهو من الإنسان: من المرفق إلى

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاها^(١) عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ^(٢)، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «ذَكَرُ اللَّهُ»^(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ. (*)

=

أطراف رؤوس الأصابع، «تقربت إليه باعًا»، أي: بقدر باع، وهو: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما يمينًا وشمالًا، «وإن أتاني يمشي أتيت هرولة»: إسراعًا.

هذه كلها أمثال ضربت تدل على أن الله تعالى لا يضيع عمل عامل وإن قل، بل يقبله ويجعل له ثوابه مضاعفًا، قَالَ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ فِي «الجامع»: (٥/ ٥٨١، رقم ٣٦٠٣): وَيُرْوَى عَنْ الْأَعْمَشِ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: «تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا» قَالَ: يَعْنِي بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، قَالَ: وَهَكَذَا فسر بعض أهل العلم هَذَا الْحَدِيثَ. قَالُوا: مَعْنَاهُ: إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي سَارَعْتَ إِلَيْهِ بِمَغْفِرَتِي وَرَحْمَتِي.

(١) «وَأَزْكَاها»، أي: أَنْمَاهَا وَأَنْقَاهَا.

(٢) «وَالْوَرِقِ» بِكَسْرِ الرَّاءِ، وَيَجُوزُ إِسْكَانُهَا، أي: الْفِضَّةُ.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الجامع»: (٥/ ٤٥٩، رقم ٣٣٧٧)، وَابْنُ مَاجَهَ فِي «السنن»: (٢/

١٢٤٥، رقم ٣٧٩٠).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»: (٢/ ٢٠٤، رقم ١٤٩٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «ذَكَرَ اللَّهُ وَظِيفَةُ الْحَيَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨ هـ |

١٥-٩-٢٠١٧ م.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَخْبَرَ أَنَّ السَّابِقِينَ هُمُ الْمُفْرَدُونَ، هُمُ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ (*)؛ فَعِنْدَ مُسْلِمٍ (٢) مِنْ رَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» (٣).

قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالرَّوَاةِ: قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ؛ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». (*) (٢/).

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ كُنُوزِ الْأَذْكَارِ الْمُطْلَقَةِ وَفَضَائِلِهَا - وَهِيَ مِنْ أَسْمَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَعْظَمِهَا فَضْلًا وَأَجْرًا، فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٦): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصَرَةٍ: «أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ!!!» - الْأَحَدُ ٢٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦ هـ - ٢٣-١٠-٢٠٠٥ م.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤ / ٢٠٦٢، رَقْم ٢٦٧٦).

(٣) «الْمُفْرَدُونَ» بَفَتْحِ الْفَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ الْمُشَدَّدَةِ وَهُوَ الْمَشْهُورُ، وَرُوِيَ بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَرُوِيَ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَتَخْفِيفِهَا وَإِسْكَانِ الْفَاءِ، أَي: الْمُنْقَطِعُونَ عَنِ النَّاسِ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (١١ / ٢٠٨، رَقْم ٦٤٠٧)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (١ / ٥٣٩، رَقْم ٧٧٩)، بَلْفِظَ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «ذَكَرَ اللَّهُ وَظِيفَةُ الْحَيَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨ هـ - ٩-١٥-٢٠١٧ م.

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٩٣، ٦٤٠٣، ٦٤٠٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٩١).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ؛ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ».

وَقَالَ: «مَنْ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ؛ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

وَفِيهِمَا أَيْضًا^(١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ.. أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ^(٢).

وَقَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ». خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٩٤).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٦٩٥).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢١٣٧).

وَخَرَجَ أَيضًا^(١) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟».

فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟

قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَتُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ تُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ».

وَفِيهِ أَيضًا^(٢) عَنْ جُوَيْرِيَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٣)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟».

قَالَتْ: نَعَمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِينَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٦٩٨).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٢٦).

(٣) هِيَ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الْخَزَاعِيَّةُ، مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، سَبَّأَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَأَعْتَقَهَا، وَتَزَوَّجَهَا فِي سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ النِّسَاءِ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا، وَتُوفِّيَتْ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ. انْظُرْ: «الْإِسْتِيعَابُ» (٤/ رَقْمُ ٣٢٨٢)، وَ«تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» (٧٨٠٧)، وَ«الْإِصَابَةُ» (٨/ رَقْمُ

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه وآله وسلم عَلَى امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوَى - أَوْ حَصَى - تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا، أَوْ أَفْضَلُ؟».

فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ». خَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»^(١).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلی الله علیه وآله وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ؟

قَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي؛ فَمَا لِي؟

قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي».

فَلَمَّا وَلَّى الْأَعْرَابِيُّ؛ قَالَ النَّبِيُّ صلی الله علیه وآله وسلم: «لَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ». خَرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥٠٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٥٦٨).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٦٩٦)، بِلَفْظٍ: «كَلَامًا أَقُولُهُ» بَدَلًا: «كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ»، وَقَدْ ذَكَرَهَا الْمِزِّيُّ فِي «تَحْفَةِ الْأَشْرَافِ» (٣/ رَقْمُ ٣٩٤١)، وَعَزَاهَا لِمُسْلِمٍ، فَلَعَلَّهَا =

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَقْرَأُ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ» (١).

وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟».

=

نُسَخَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَعَافِنِي»؛ فَهِيَ عِنْدَ مُسْلِمٍ عَلَى الشَّكِّ مِنَ الرَّاوي، وَقَدْ أَخْرَجَهَا أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٥٦١، ط الرسالة)، وَغَيْرُهُ بِلاَ شَكٍّ، وَلَيْسَ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَلَا غَيْرِهِ زِيَادَةٌ: «فَلَمَّا وَلَّى الْأَعْرَابِيُّ...»، مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ رضي الله عنه، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٨٣٢)، وَالنَّسَائِيُّ (٩٢٤) مُخْتَصَرًا، وَأَحْمَدُ (١٩١١٠)، وَمَوَاضِعَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، عَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَخْذُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَعَلَّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي. قَالَ:

«قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِلَّهِ ﷻ، فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي»، ثُمَّ أَدْبَرَ وَهُوَ مُمَسِّكٌ كَفِّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ». وَحَسَنُهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْأَزْوَاءِ» (٣٠٣).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٦٢)، وَحَسَنُهُ بِشَوَاهِدِ الْأَلْبَانِيِّ فِي تَخْرِيجِ «الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (تَعْلِيقُ ٨)، وَفِي «الصَّحِيحَةِ» (١٠٥).

فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ: «قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١). (*)



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٠٩) وَمَوَاضِعُ، وَمُسْلِمٌ (٢٧٠٤) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ: فَضْلُ: فَضْلُ التَّحْمِيدِ

وَالْتَهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ)، الْإِثْنَيْنِ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨ هـ | ١١-٩-٢٠١٧ م.

مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ:

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ -تَعَالَى- فِي كِتَابِهِ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، فَبَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ -تَعَالَى- وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ ﷺ؛ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

مَعْنَى الصَّلَاةِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ: الثَّنَاءُ عَلَى الرَّسُولِ، وَالْعِنَايَةُ بِهِ، وَإِظْهَارُ شَرَفِهِ وَفَضْلِهِ وَحُرْمَتِهِ، كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ.

وَأَمَّا مَعْنَى التَّسْلِيمِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ قَالَ فِيهِ الْمَجْدُ الْفَيْرُوزِ أَبَادِيٌّ فِي كِتَابِهِ «الصَّلَاتُ وَالْبُشْرُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ»: «وَمَعْنَاهُ: السَّلَامُ الَّذِي هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَتَأْوِيلُهُ: لَا خَلَوْتَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، وَسَلِمْتَ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْآفَاتِ؛ إِذْ كَانَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّمَا يُذَكَّرُ عَلَى الْأُمُورِ تَوْفَعًا لِاجْتِمَاعِ مَعَانِي الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ فِيهَا، وَانْتِفَاءً عَوَارِضِ الْخَلَلِ وَالْفَسَادِ عَنْهَا.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ «السَّلَامُ»: بِمَعْنَى السَّلَامَةِ؛ أَي: لِيَكُنْ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ السَّلَامَةَ، كَمَا سَلِمْتَ مِنَ الْمَلَامِ وَالنَّقَائِصِ، فَإِذَا قُلْتَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ» فَإِنَّمَا تُرِيدُ مِنْهُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِمُحَمَّدٍ فِي دَعْوَتِهِ وَأُمَّتِهِ وَذِكْرِهِ السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، فَتَزِدْ دَعْوَتَهُ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ عُلُوءًا، وَأُمَّتَهُ تَكَثُّرًا، وَذِكْرَهُ ارْتِفَاعًا.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْأَحْزَابِ: «السَّلَامُ عَلَيْهِ ﷺ يَعْنِي: تَحِيَّتُهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

وَلَفْظُ السَّلَامِ يَتَضَمَّنُ مَعْنَيْنِ:

* أَحَدُهُمَا: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ؛ أَي: نَزَلَتْ بَرَكَتُهُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَحَلَّتْ بِكُمْ.

* وَالْمَعْنَى الثَّانِي: طَلَبُ السَّلَامَةِ، وَالسَّلَامَةُ تَشْمَلُ السَّلَامَةَ مِنَ الْآفَاتِ الدُّنْيَا وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَيَدْخُلُ فِي السَّلَامَةِ أَيْضًا الْأَمْنُ مِنْ فِرَاقِ الْيَوْمِ الْأَكْبَرِ؛ لِأَنَّ الْفِرَاقَ مِنَ الْآفَاتِ الْآخِرَوِيَّةِ.

وَأَمَّا فَضَائِلُ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَمِنْهَا:

* أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ -صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ- صَلَاةٌ بِصَلَوَاتٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً؛ صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٤٠٨).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، وَابْنُ السُّنِّي، وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ ^(١).

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ ^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ ٢٢٣٦)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ (ص)» (رَقْمُ ٤٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (٩/ ٣٠، رَقْمُ ٩٨٠٦)، مِنْ طَرِيقٍ: الْمُغِيرَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ، (١)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ ٤٠٠٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (رَقْمُ ٢٧٦٧، و٤٩٤٨، دَارُ الْحَرَمَيْنِ - الْقَاهِرَةُ)، وَابْنُ السُّنِّي فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (رَقْمُ ٣٨٠)، مِنْ طَرِيقٍ: إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، (٢)، كِلَاهُمَا: عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، ... بِهِ.

وَقَوْلُهُ: «مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ» زِيَادَةُ شَاذَّةٌ، وَأَبُو إِسْحَاقَ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ أَنَسٍ؛ فَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١١٩٩٨، و١٣٧٥٤)، وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٦٤٣)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى» (١٢٩٧)، مِنْ طَرِيقٍ: يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، بَلَفَظَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (رَقْمُ ٥٠٠)، يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَانْظُرْ: «الْعِلَلُ» لِلدَّارَقُطَنِيِّ (١٣/ مَسْأَلَةٌ ٢٤٩٧).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٩٠٧)، وَأَحْمَدُ (١٥٦٨٠، و١٥٦٨٩، و١٥٦٩٠)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٥٧٤٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدَةً؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ سَبْعِينَ صَلَاةً، فَلْيُقِلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ». أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ^(١).

* وَمِنْ فَضَائِلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهَا رَفَعٌ لِلدَّرَجَاتِ، وَحِطٌّ لِلْسَّيِّئَاتِ؛ فَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبَشَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبَشَرُ.

قَالَ: «أَجَلُ، أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي وَعَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً؛ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا». أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ^(٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦٦٠٥، و٦٧٥٤)، وَصَحَّحَ إِسْنَادُهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ فِي تَحْقِيقِ «الْمُسْنَدِ» (٦/ ١٧٦، و٢٩٢، دَارُ الْحَدِيثِ).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٦٣٥٢)، وَحَسَنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (١٦٦١).

(٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

* وَمِنْ فَضَائِلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهَا كِفَايَةٌ لِلْهُمُومِ، وَمَغْفِرَةٌ لِلذُّنُوبِ:

عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلَاثَ لَيَالٍ؛ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ».

قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ؛ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي -أَي: مِنْ دُعَائِي، أَي: كَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ دُعَائِي صَلَاةً عَلَيْكَ-؟
فَقَالَ: «مَا شِئْتُ».

قَالَ: قُلْتُ: الرَّبُّعُ؟

قَالَ: «مَا شِئْتُ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ».

قُلْتُ: النِّصْفُ؟

قَالَ: «مَا شِئْتُ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ».

قَالَ: قُلْتُ: فَالثَّلَاثِينَ؟

قَالَ: «مَا شِئْتُ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ».

قَالَ: قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا -أَي: دُعَائِي كُلَّهُ لِنَفْسِي وَأَهْلِي وَوُلْدِي

وَمَالِي-؟

قَالَ: «إِذَنْ تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ». أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ^(١).

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبَبٌ لِهِدَايَةِ الْعَبْدِ وَحَيَاةِ قَلْبِهِ؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا أَكْثَرَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ وَذَكَرَهُ؛ اسْتَوَلَتْ مَحَبَّتُهُ عَلَى قَلْبِهِ؛ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ مُعَارَضَةٌ لَشَيْءٍ مِنْ أَوْامِرِهِ، وَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ شَكٌّ فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، بَلْ يَصِيرُ مَا جَاءَ بِهِ مَكْتُوبًا مَسْطُورًا فِي قَلْبِهِ، لَا يَزَالُ يَقْرَأُهُ عَلَى تَعَاقُبِ أَحْوَالِهِ، وَيَقْتَبِسُ الْهُدَى وَالْفَلَاحَ وَأَنْوَاعَ الْعُلُومِ مِنْهُ، وَكُلَّمَا ازدَادَ فِي ذَلِكَ بَصِيرَةً وَقُوَّةَ مَعْرِفَةٍ؛ ازدادت صَلَاتُهُ عَلَيْهِ ﷺ. (*)



(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٥٧)، وَأَحْمَدُ (٢١٢٤١، و٢١٢٤٢) مُخْتَصَرًا، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٩٢٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «فَضَائِلُ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ / ٩-١٢-٢٠١٦م.

مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الصَّدَقُ وَطِيبُ الْقَوْلِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ

مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا الْمُسْلِمُ: الصَّدَقُ، وَطِيبُ الْقَوْلِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ -تَعَالَى- الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ؛ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

إِنَّهُ لَا يَقُومُ دِينَ وَلَا تَسْتَقِيمُ دُنْيَا إِلَّا بِالصَّدَقِ.. (*)

فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» (٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ؟

فَقَالَ ﷺ: «كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ؛ كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ.. هَذَا أَفْضَلُ النَّاسِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥ هـ / ١٤-٢-٢٠١٤ م.

(٢) «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» لِلْأَلْبَانِيِّ (٣/ ٣٧٣، رَقْم ٣٤١٦).

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صَدُوقُ اللِّسَانِ عَرَفْنَاهُ؛ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ فِيهِ وَلَا حَسَدَ»^(١).

فَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ: سَلَامَةُ الصِّدْرِ، وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: مَنْ كَانَ عَنِ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ مُنْزَهًا، وَمِنْ ذَلِكَ مُبْرَأً.

فَهَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ عَنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ، يُوضِّحُ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ فِي مِيزَانِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ مَنْ هَذَّبَ النَّفْسَ وَصَفَّاهَا، وَرَفَّقَ الْقَلْبَ وَأَعْلَاهُ عَلَى مَنْهَجِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كِتَابًا وَسُنَّةً، وَأَمَّا مَنْ دَسَّاهَا فَقَدْ خَابَ، كَمَا قَرَّرَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ. (*)

لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عُمُومًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾؛ أَيُّ: كَلِّمُوهُمْ طَيِّبًا، وَلِينُوا لَهُمْ جَانِبًا، وَيَدْخُلْ فِي ذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْمَعْرُوفِ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، وصححه إسناده الألباني -أيضًا- في «الصحيحه» (٩٤٨)،

وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ حُطْبَةٍ: «مَا صَحَّ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ

شَعْبَانَ ١٤٢٥ هـ | ٢٤-٩-٢٠٠٤ م.

(٣) «تفسير القرآن العظيم»: ٣١٧/١.

فَالْحَسَنُ مِنَ الْقَوْلِ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَحْلُمُ وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا قَالَ اللَّهُ، وَهُوَ كُلُّ خُلُقٍ حَسَنٍ رَضِيَهُ اللَّهُ. (*)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا دَوَامًا الْكَلِمَةَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ مَا يَنْطِقُونَ بِهِ. (* / ٢).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْقَوْلَ الطَّيِّبَ الْحَسَنَ لَا يَذْهَبُ سُدًى، وَلَا يَضِيعُ بَدَدًا، بَلْ صَاحِبُهُ مَأْجُورٌ عَلَيْهِ، مَثَابٌ عَلَى قَوْلِهِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (* / ٣).

وَمِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُثْمِرُ الْأَلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ: السَّلَامُ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابٍ: «شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ» (ص: ١٦-١٧) - لِلشَّيْخِ الْعَلَامَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسَلَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الإسراء: ٥٣].

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٨٥ / ٦، رَقْم (٢٨٩١)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٦٩٩ / ٢، رَقْم (١٠٠٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(* / ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابٍ: «شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ» (ص: ١٦-١٧) - لِلشَّيْخِ الْعَلَامَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسَلَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

فَهَذِهِ بَعْضُ النَّصُوصِ فِي فَضْلِ هَذَا الْأَدَبِ الْعَظِيمِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شِعَارًا لِهَذَا الدِّينِ الْكَرِيمِ.

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّنُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. (*)

الْمُجْتَمَعُ لَا يَكُونُ سَعِيدًا إِلَّا إِذَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِهِ التَّوَاصُلُ، وَالتَّوَادُّ، وَالتَّرَاحُّمُ، وَالْمَحَبَّةُ الشَّرْعِيَّةُ. (٢/*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «آدَابُ السَّلَامِ» - الْأَرْبَعَاءُ ١٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥ هـ | ١٦ - ٧-٢٠١٤ م.

(٢/*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُحْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - (ص: ٣٧١).

مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْعَظِيمَةِ: الْعَمَلُ وَالسَّعْيُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ

إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا يَنْحَصِرُ فِي جَانِبٍ دُونَ آخَرَ، بَلْ كُلُّ مَا يُحَقِّقُ الْقِيَمَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَيُسَهِّمُ فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعٍ مُتَرَابِطٍ، زَكِيٍّ النَّفْسِ، تَسْوَدُّهُ الْأُفْقَةُ وَالتَّعَاوُنُ، وَتَعْلُوهُ قِيَمُ التَّسَامُحِ وَالْمَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ؛ فَهُوَ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَقَدْ جَعَلَ الْإِسْلَامُ عَمَلَ الْإِنْسَانِ وَسَعْيَهُ لِإِطْعَامِ أَهْلِهِ عَمَلًا صَالِحًا يَثَابُ عَلَيْهِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ وَزَوْجَتَكَ وَخَادِمَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِ الْإِسْلَامِ وَمَحَاسِنِهِ: وَذَلِكَ أَنَّ مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا تَنْتَفِعُ بِهِ؛ يَكُونُ لَكَ

(١) «الأدب المفرد» للبخاري (رقم ١٩٥)، وأخرجه البخاري أيضا (رقم ٨٢)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٢١٣٨)، وأحمد في «المسند» (٤ / ١٣١ - ١٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨ / رقم ٩١٤١ و ٩١٦٠)، ولفظ ابن ماجه: «مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطِيبَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ».

والحديث صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (رقم ٦٠ و ١٤٣)، وفي «الصحيحة» (١ / رقم ٤٥٢).

فِيهِ صَدَقَةٌ، وَهَكَذَا مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَى مَنْ تَحْتَ يَدِكَ مِنْ زَوْجَةٍ، وَابْنٍ، وَخَادِمٍ وَمَمْلُوكٍ؛ لَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى النِّيَّةِ.

إِنَّ مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُ-، وَعَلَى أَهْلِكَ، وَعَلَى مَمْلُوكِكَ، وَعَلَى الْأَجِيرِ الْخَادِمِ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ صَدَقَةٌ، كُلُّ مَا أَنْفَقْتَهُ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ.

وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ وَفَضَائِلِهِ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَيَحْتَاجُ هَذَا إِلَى النِّيَّةِ، أَيُّ: أَنْ تَنْوِيَهُ نِيَّةً عَامَّةً فِي كُلِّ مَا أَنْفَقْتَ مِنْ مَالِكَ فِي وَجْهِهِ الْحَلَالِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: الْمَطْعَمُ وَالْمَشْرَبُ، وَالْمَسْكَنُ وَالْمَرْكَبُ، تَحْتَسِبُهُ؛ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ.

وَهَكَذَا إِذَا قَدَّمْتَ إِحْسَانًا تَحْتَسِبُ فِيهِ الْأَجْرَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا أَجْرَ إِلَّا عَنْ حِسْبَةٍ» -صَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»-(١)؛ أَيُّ: لِمَنْ يَحْتَسِبُ، وَهُوَ بِمَعْنَى حَدِيثِ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»-(٢)؛ أَيُّ: تَنْوِي

(١) أخرجه الديلمي في «مسنده» (٤ / ٢٠٦)، من حديث: أبي ذر رضي الله عنه، كما في «الصحيحة» (٥ / رقم ٢٤١٥) للألباني، وصححه بشواهده.

والحديث روي بنحوه عن أنس رضي الله عنه، بلفظ: «...، لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ»، أخرجه البيهقي في «الكبرى» (١ / ٤١، رقم ١٧٩)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (رقم ٦٨٦)، بإسناد ضعيف، وروي عن القاسم بن عبد الرحمن الشامي، مرسلًا، بلفظ: «لَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ»، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (رقم ١٥٢)، بإسناد لا بأس به عنه.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١، و ٥٤) ومواضع، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

إِذَا قُدِّمَ لَكَ الطَّعَامُ مِنْ حَلَالٍ؛ أَنْ تَنْوِيَ فِي هَذَا الطَّعَامِ أَنَّكَ تُحْسِنُ بِهِ إِلَى نَفْسِكَ، وَتَتَقَوَّى بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَقَضَاءِ حَاجَاتِكَ الْمُبَاحَةِ وَالشَّرْعِيَّةِ؛ فَيَكُونُ لَكَ فِي هَذَا الطَّعَامِ أَجْرٌ.

وَهَذَا تَكْرُمٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَإِحْسَانٌ وَإِفْضَالٌ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ أَكَلَ مِنْ مَائِدَتِكَ، وَكُلُّ مَنْ شَرِبَ مِمَّا كَسَبْتَ يَدُكَ؛ لَكَ فِيهِ أَجْرٌ.

وَهَذَا جَاءَ مُوَضَّحًا فِي الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَذَا الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ، وَأَنَّ هَذَا الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ -ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى- لَا يَضِيعُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ أَبَدًا؛ حَتَّى هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ، وَيَحْفَظُ صِحَّتَهُ وَبَنِيَّتَهُ، وَيَحْفَظُ وَلَدَهُ؛ لَهُ فِيهِ الْأُجُورُ الْمُضَاعَفَةُ؛ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ. (*)

الْعَبْدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ طَلَبِ الرِّزْقِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْلُكَ أَنْفَعَ الْأَسْبَابِ الدُّنْيَوِيَّةِ اللَّائِقَةِ بِحَالِهِ، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ، وَيَقْصِدُ بِكَسْبِهِ وَسَعْيِهِ الْقِيَامَ بِوَاجِبِ نَفْسِهِ، وَوَاجِبِ مَنْ يَعُولُهُ وَمَنْ يَقُومُ بِمُؤْنَتِهِ، وَيَنْوِي الْكَفَافَ وَالِاسْتِغْنَاءَ بِطَلَبِهِ عَنِ الْخَلْقِ.

وَالْمَوْفَقُ تَتَحَوَّلُ عَادَاتُهُ وَمُبَاحَاتُهُ إِلَى عِبَادَاتٍ بَنِيَّةٍ الصَّالِحَةِ، فَالْسَّعْيُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ يَتَحَوَّلُ إِلَى عِبَادَةٍ بِهَذِهِ النِّيَّةِ الْمَذْكُورَةِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» [ص ٩١٨-٩٢١].

وَكَذَلِكَ يُنَوِي بِسَعْيِهِ وَكَسْبِهِ تَحْصِيلَ مَا تَقُومُ بِهِ الْعِبُودِيَّاتُ الْمَالِيَّةُ؛ مِنَ الرِّكَاءِ وَالصَّدَقَةِ، وَالتَّنْفِقَاتِ الْخَيْرِيَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ مِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْمَالِ، وَيَقْصِدُ الْمَكَاسِبَ الطَّيِّبَةَ، مُتَجَنِّبًا لِلْمَكَاسِبِ الْخَبِيثَةِ الْمُحَرَّمَةِ.

فَمَتَى كَانَ طَلَبُ الْعَبْدِ وَسَعْيُهُ فِي الدُّنْيَا لِهَذِهِ الْمَقَاصِدِ الْجَلِيلَةِ، وَسَلَكَ أَنْفَعَ طَرِيقٍ يَرَاهُ مُنَاسِبًا لِحَالِهِ؛ كَانَتْ حَرَكَاتُهُ وَسَعْيُهُ قُرْبَةً يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِهَا.

وَمِنْ تَمَامِ ذَلِكَ: أَلَّا يَتَّكِلَ الْعَبْدُ عَلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَذَكَائِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَحِذْقِهِ بِمَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ وَإِدَارَتِهَا، بَلْ يَسْتَعِينُ بِرَبِّهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، رَاجِيًا مِنْهُ أَنْ يُيسِّرَ لَهُ لَيْسَرَ الْأُمُورِ وَأَنْجَحِهَا، وَأَقْرِبَهَا تَحْصِيلًا لِمُرَادِهِ، وَيَسْأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي رِزْقِهِ؛ فَأَوَّلُ بَرَكََةِ الرِّزْقِ: أَنْ يَكُونَ مُؤَسَّسًا عَلَى التَّقْوَى وَالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ.

وَمِنْ بَرَكََةِ الرِّزْقِ: أَنْ يُوفَّقَ الْعَبْدُ لِمَوْضِعِهِ فِي مَوَاضِعِهِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ.

وَمِنْ بَرَكََةِ الرِّزْقِ: أَلَّا يَنْسَى الْعَبْدُ الْفَضْلَ فِي الْمُعَامَلَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. بِالتَّيْسِيرِ عَلَى الْمُوسِرِينَ، وَإِنْظَارِ الْمُعْسِرِينَ، وَالْمُحَابَاةِ عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ بِمَا تيسَّرَ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، هَذَا كُلُّهُ مِنَ الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ فِي الْمُعَامَلَةِ، فَبِذَلِكَ يَنَالُ الْعَبْدُ خَيْرًا كَثِيرًا.

فَإِنْ قِيلَ: أَيُّ الْمَكَاسِبِ أَوْلَى وَأَفْضَلُ؟

قِيلَ: قَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ الزَّرَاعَةَ وَالْحِرَاةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ الْقِيَامَ بِالصَّنَاعَاتِ وَالْحِرَفِ وَنَحْوِهَا.

وَكُلُّ مَنْهُمْ أَذْلَى بِحُجَّتِهِ؛ وَلَكِنْ هَذَا الْحَدِيثُ هُوَ الْفَاصِلُ لِلنِّزَاعِ، وَهُوَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).

وَالنَّافِعُ مِنْ ذَلِكَ مَعْلُومٌ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ الْحِرَاةُ وَالزَّرَاعَةُ أَفْضَلَ فِي حَقِّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ وَالْقِيَامُ بِالصَّنَاعَةِ الَّتِي يُحْسِنُهَا أَفْضَلَ فِي حَقِّهِ، فَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ الْأَنْفَعُ. فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنَوَافِعَهَا. (*)

وَلَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ؛ فَقَدْ كَانَتْ سِيرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَزْوَاجِهِ حُسْنَ الْمُعَاشَرَةِ، وَحُسْنَ الْخُلُقِ. (*) (٢/).

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(٤).

(١) «صحيح مسلم»: (٤/٢٠٥٢، رقم ٢٦٦٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ بَهْجَةِ قُلُوبِ الْأَبْرَارِ وَقُرَّةُ عُيُونِ الْأَخْيَارِ فِي شَرْحِ جَوَامِعِ الْأَخْبَارِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)، الْخَمِيسُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٤هـ - ٥-٩-٢٠١٣م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ - هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النِّكَاحِ وَالْمُعَاشَرَةِ» - مُحَاضَرَةُ ١٦ السَّبْتُ ٢٨ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٥هـ - ٢٩-٣-٢٠١٤م.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» (رقم ٣٨٩٥)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي «السَّنَنِ» (رقم ١٩٧٧)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَصَحَّحَ حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١/ رقم ٢٨٥) وَ(٣/ رقم

١١٧٤)، وَفِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢/ رقم ١٩٢٤)، وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَصَبَّحَهُ لغيره فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢/ رقم ١٩٢٥).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (*).

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ^(٢)، وَكَانَ يَخْدُمُ نَفْسَهُ؛ فَعَنْ عَمْرَةَ قَالَتْ: قِيلَ لِعَائِشَةَ: مَاذَا كَانَ يَعْمَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ؟!

قَالَتْ: «كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ» (٣).

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ - هَدْيُهُ ﷺ فِي النِّكَاحِ وَالْمُعَاشِرَةِ» - مُحَاصِرَةُ ١٦ - السَّبْتُ ٢٨ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٥ هـ / ٢٩ - ٣ - ٢٠١٤ م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٦٧٦ وَ ٥٣٦٣ وَ ٦٠٣٩)، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، سَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ خَرَجَ».

(٣) «الشَّمَائِلُ الْمَحْمُودِيَّةُ» لِلتِّرْمِذِيِّ (رَقْم ٣٤٣)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (رَقْم ٥٤١)، وَابْنُ حَبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٥٦٧٥ / الإحسان)، وَابْنُ يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (٨ / رَقْم ٤٨٧٣)، وَابْنُ عَدِي فِي «الْكَامِلِ» (٨ / ١٤٥ - ١٤٦، تَرْجُمَةُ «مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ» (رَقْم ٢٠٧٨)، وَابْنُ عَدِي فِي «الْكَامِلِ» (٨ / ٣٣١، تَرْجُمَةُ ٤٢٨)، مِنْ طَرِيقٍ: عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ... الْحَدِيثِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «مَخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ» (رَقْم ٢٩٣).

وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٧١).

وَلِلْحَدِيثِ شَاهِدٌ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَابْنِ حِبَّانَ، وَصَحَّحَهُ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ: سَأَلَهَا رَجُلٌ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟!!!

قَالَتْ: «نَعَمْ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ مَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ».

وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِلَفْظٍ آخَرَ، قَالَتْ: «كَانَ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ؛ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ»^(١).

«يَقْلِي ثَوْبَهُ»؛ أَي: يُفْتِّشُهُ؛ لِيُخْرِجَ مِنْهُ مَا عَلَقَ بِهِ؛ مِنْ شَوْكٍ، أَوْ قَذَى.

«قِيلَ لَهَا»: وَالْقَائِلُ لَهَا لَمْ يُعَيَّنْ.

«مَاذَا كَانَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟» قَالَتْ: «كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ»، وَمَهَّدَتْ بِذَلِكَ لِمَا يَأْتِي: «يَقْلِي ثَوْبَهُ» يَعْنِي: يُفْتِّشُهُ؛ لِيَلْتَقِطَ مَا فِيهِ مِمَّا عَلَقَ فِيهِ مِنْ نَحْوِ شَوْكٍ وَغَيْرِهِ، أَوْ لِيَرْقَعَ مَا فِيهِ مِنْ نَحْوِ خِرْقٍ.

«وَيَحْلُبُ شَاتَهُ» (بِضَمِّ اللَّامِ، وَيَجُوزُ كَسْرُهَا) (وَيَحْلِبُ شَاتَهُ).

«يَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ»، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «يَعْمَلُ عَمَلِ الْبَيْتِ»، وَأَكْثَرُ مَا يَعْمَلُ: الْخِيَاطَةُ، يُرْفَعُ ثَوْبُهُ.

فَيَسُنُّ لِلرَّجُلِ خِدْمَةُ نَفْسِهِ، وَخِدْمَةُ أَهْلِهِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّوَاضُّعِ،
وَتَرْكِ التَّكَبُّرِ.

وَالْحَدِيثُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَوَاضُّعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَدَمِ تَرْفُعِهِ وَتَكَبُّرِهِ، كَمَا
يَفْعَلُ أَهْلُ الدُّنْيَا، وَأَهْلُ الْجَاهِ وَالْمَنَاصِبِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ» (بَابُ: مَا جَاءَ فِي تَوَاضُّعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) -
(الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ وَالْخَمْسُونَ)، الثَّلَاثَاءُ ٢٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥ هـ | ٢٤-٦-٢٠١٤ م.

مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: التَّنْفَعُ الْعَامُّ لِلْغَيْرِ مَادِّيًّا وَمَعْنَوِيًّا

مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْعَظِيمَةِ: مَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ بِهِ غَيْرُهُ؛ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، مَادِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]. (*)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ زَادَ؛ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ؛ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ ثَوَّبَ؛ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ثَوْبَ لَهُ»، فَمَا زَالَ يُعَدُّ مِنْ أَصْنَافِ الْفَضْلِ حَتَّى ظَنَّ الصَّحَابَةُ أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْفَضْلِ (٢)، يَعْنِي: فِي الزِّيَادَةِ عَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ؛ مِنْ ثِيَابٍ، أَوْ طَعَامٍ، أَوْ شَرَابٍ، أَوْ مَرْكُوبٍ، أَوْ مَا أَشَبَّهُ. (*) (٢/).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الْكَلَامُ فِيمَا لَا يَعْنِي» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ | ١٥-٤-٢٠١٦م.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٢٨) مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حُطُورَةُ الْإِحْتِكَارِ عَلَى الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» - الْجُمُعَةُ ٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ | ٣٠-٩-٢٠١٦م.

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟

فَقَالَ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَمَلٌ سُرُورٌ تَدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا» (١).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ» (٢)، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَشَتَانِ مَا بَيْنَ كُرْبَةِ الدُّنْيَا وَكُرْبَةِ الْآخِرَةِ، فَهَذَا عَطَاءٌ مِنْ صَاحِبِ الْعَطَاءِ وَالْفَضْلِ: «فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف»: (ص ٧٩-٨٠، رقم ٩٢م)، وفي «قضاء الحوائج»: (ص ٤٧، رقم ٣٦)، من حديث: بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وأخرجه أيضا الطبراني في معاجمه الثلاثة «الكبير»: (١٢ / ٤٥٣، رقم ١٣٦٤٦)، وفي «الأوسط»: (٦ / ١٣٩-١٤٠، رقم ٦٠٢٦)، وفي «الصغير»: (٢ / ١٠٦، رقم ٨٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (٦ / ٣٤٨)، من حديث: ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢ / ٧٠٩، رقم ٢٦٢٣).

(٢) قوله: «لَا يُسْلِمُهُ»، أي: لَا يَتْرُكُهُ مَعَ مَا يُؤْذِيهِ، بل ينصره وَيُدْفَعُ عَنْهُ، قاله ابن الجوزي في «كشف المشكل»: ٢ / ٤٨٤.

سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ (١). (*)

وَالرَّسُولُ ﷺ لَمَّا كَانَ قَافِلًا عَائِدًا مِنْ حُنَيْنٍ بَعْدَ أَنْ نَفَلَهُ اللَّهُ الْغَنَائِمَ الْكَثِيرَةَ، وَسَاقَ إِلَيْهِ النِّعَمَ الْوَفِيرَةَ، وَأَتَاهُ اللَّهُ أَمْوَالَ الْقَوْمِ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا.. لَمَّا أَنْ عَادَ؛ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ يَسْأَلُونَهُ، وَهُوَ يَعُودُ الْقَهْقَرَى؛ حَتَّى خَطَفَتْ سَمْرَةٌ هُنَالِكَ رِذَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَالسَّمْرَةُ: شَجَرَةٌ ذَاتُ شَوْكٍ -، أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ - وَهُمْ يَزْحَفُونَ عَلَيْهِ - يَتَقَهَّقَرُ؛ حَتَّى كَانَ عِنْدَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ بِشَوْكِهَا، فَخَطَفَ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ رِذَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ - وَهُوَ شَجَرٌ ذُو شَوْكٍ يَكُونُ فِي الْبَوَادِي - أَنْعَامًا وَنَعَمًا؛ لَفَرَّقْتُهَا فِيكُمْ، وَلَمْ أَبْقِ شَيْئًا، وَمَا وَجَدْتُمُونِي جَبَانًا، وَلَا كَذَابًا، وَلَا بَخِيلًا» (٣). (*) (٢).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٥ / ٩٧، رقم (٢٤٤٢)، وفي: ١٢ / ٣٢٣، رقم (٦٩٥١)، ومسلم في «الصحيح»: ٤ / ١٩٩٦، رقم (٢٥٨٠).

والحديث -أيضًا- في «صحيح مسلم»: ٤ / ١٩٨٦، رقم (٢٥٦٤)، من رواية: أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، بلفظ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -، بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِزُّهُ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ دَرَسٍ: «السَّعْيُ فِي قَضَاءِ حَاجَةِ الْآخَرِينَ».

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٦ / ٣٥ و ٣٥١، رقم ٢٨٢١ و ٣١٤٨، من حديث: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ (رضي الله عنه).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ وَدَعْوَةُ لِلجُودِ وَالْكَرَمِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ رَمَضَانَ

١٤٢٦هـ | ٧-١٠-٢٠٠٥م.

«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ» (١). (*)

إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - كَثِيرَةٌ كَثِيرَةٌ، وَالْفَضَائِلُ لِمَنْ قَامَ بِهَا وَافِرَةٌ غَزِيرَةٌ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ سَلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ».

وَقَالَ: «إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بَضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» يَعْنِي: إِتْيَانَ زَوْجَتِهِ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟!

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ؛ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ؛ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» (٤). وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (*) (٢).

(١) تقدم تخريجه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْأُخُوَّةُ الصَّادِقَةُ».

(٣) «صحيح البخاري»: (٦/١٣٢، رقم ٢٩٨٩)، و«صحيح مسلم»: (٢/٦٩٩، رقم ١٠٠٩).

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٢/٦٩٧، رقم ١٠٠٦)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «عَامٌ جَدِيدٌ وَعَامٌ شَهِيدٌ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩ هـ | ٢٢-٩-٢٠١٧ م.

مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الْبِنَاءُ وَالتَّعْمِيرُ

إِنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الْمُسَاهَمَةَ فِي الْبِنَاءِ وَالتَّعْمِيرِ وَتَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ؛ فَالْإِسْلَامُ حَثَّ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ يُسَهِّمُ فِي بِنَاءِ أُمَّةٍ قَوِيَّةٍ وَمُجْتَمَعٍ رَاقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً سَهْلَةً مُطَوَّعَةً، تَحْرُثُونَهَا وَتَزْرَعُونَهَا، وَتَسْتَخْرِجُونَ كُنُوزَهَا، وَتَتَنَفَّعُونَ مِنْ طَائِفَاتِهَا وَخَصَائِصِ عَنَاصِرِهَا؛ فَامْشُوا فِي جَوَانِبِهَا وَأَطْرَافِهَا وَنَوَاحِيهَا مَشْيًا رَفِيقًا لِتَحْصِيلِ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ، وَكُلُوا مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَاکْتَسَبُوا الرِّزْقَ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ، وَتَذَكَّرُوا يَوْمَ الْحِسَابِ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ. (*)

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الملك: ١٠].

وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ الْمَاءِ الْمُخْتَلِطِ بِتُرَابِ الْأَرْضِ.. أَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَذَلَّلَ لَكُمْ السُّفْنَ الْجَارِيَةَ عَلَى الْمَاءِ وَفَقَ نِظَامِ الطُّفُوِّ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ؛ لِأَجْلِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا فِي جَلْبِ الرِّزْقِ مِنْ بَلَدٍ لِآخَرَ، وَذَلَّلَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ.. تَشْرَبُونَ مِنْهَا، وَتَسْقُونَ زَرْعَكُمْ، وَأَشْجَارَكُمْ، وَأَنْعَامَكُمْ، وَدَوَابَّكُمْ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ أُخْرَى.

وَذَلَّلَ اللَّهُ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ.. يَجْرِيَانِ دَائِمًا فِيمَا يَعُودُ إِلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ، لَا يَفْتَرَانِ عَنْ حَرَكَتَيْهِمَا مِنْ انْقِضَاءِ عُمُرِ الدُّنْيَا وَذَهَابِهَا، وَذَلَّلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ فِي الظُّلُمَةِ وَالضِّيَاءِ، وَالنُّقْصَانِ وَالزِّيَادَةِ، لِتَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ وَتَسْتَرِيحُوا، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ وَتُدَبِّرُوا مَعَاشَكُمْ. (*).

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي النَّظَرِ فِي الْأَفَاقِ، وَفِي الْأَنْفُسِ، وَفِيمَا بَثَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي تَضَاعِيفِ هَذَا الْكَوْنِ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِكَيْ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَى الْأَسْرَارِ الَّتِي تَرْتَقِي بِهَا الْحَيَاةُ.

فَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى تَرْقِيَةِ الْإِنْسَانِ فِيمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ؛ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِبَادَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [إبراهيم: ٣٢ -

فَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ هُوَ دِينُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي أَكْمَلَهُ وَرَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي
أَرْضِهِ، وَهُوَ يَحْمِلُ فِي آيَاتِهِ وَتَضَاعِيفِهِ الْبَرَاهِينَ الدَّالَّةَ عَلَى صِدْقِ مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ
لَدُنْ رَبِّهِ.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ
لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» [الحديد: ٢٥].

أَخْبَرَ -تَعَالَى- أَنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِهِدَايَةِ الْخَلْقِ، وَأَيَّدَهُمْ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ
الْمُبَيِّنَةِ لِلْحَقَائِقِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَحَقِيقَةِ مَا جَاءُوا بِهِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ
الَّذِي فِيهِ الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمْ أَيْضًا الْمِيزَانَ الَّذِي هُوَ الْعَدْلُ، وَمَا
يُعْرَفُ بِهِ الْعَدْلُ مِنْ أَصُولِ الْعَدْلِ وَفُرُوعِهِ؛ وَذَلِكَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ إِذَا عَمِلُوا
بِهَا فِي عَقَائِدِهِمْ، وَأَخْلَاقِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَسُلُوكِهِمْ، وَجَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

فَمَتَى عَمِلُوا بِمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ؛ صَلَحَتْ مِنْهُمْ هَذِهِ الْأُمُورُ،
وَاسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهُمْ.

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ، فَخَصَّ مَنَافِعَهُ
فِي أُمُورِ الْحَرْبِ، ثُمَّ عَمَّمَهَا فِي سَائِرِ الْأُمُورِ، فَالْحَدِيدُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْمَنَافِعِ
الضَّرُورِيَّةِ وَالْكَمَالِيَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ إِلَّا النَّادِرَ مِنْهَا تَحْتَاجُ إِلَى الْحَدِيدِ، وَقَدْ سَاقَهَا اللَّهُ فِي سِيَاقِ
الْإِمْتِنَانِ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا، وَمُقْتَضَى ذَلِكَ؛ الْأَمْرُ بِاسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الْمَنَافِعِ بِكُلِّ

وَسِيلَةٍ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَعَلُّمَ الْفُنُونِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ، وَصِنَاعَةِ الْأَسْلِحَةِ وَتَوَابِعِهَا، وَالْمَرَاجِبِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْبَرِّيَّةِ وَالْهَوَائِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعِبَادُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. (*)

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥].

وَالْأَمْوَالُ الرَّاعِيَّةُ - مِنَ الْإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ - خَلَقَهَا لِمَصَالِحِكُمْ وَحَاجَاتِكُمْ، لَكُمْ فِيهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا تَسْتَدْفِئُونَ بِهِ مِنَ الْأَلْبَسَةِ الْمُتَّخَذَةِ مِنَ الْأَصْوَافِ وَالْأَوْبَارِ وَالْأَشْعَارِ.

وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ مَنَافِعُ أُخْرَى فِي النَّسْلِ وَدَرِّ اللَّبَنِ، وَالرُّكُوبِ وَالْحَمَلِ عَلَيْهَا، وَمِنْ لَحُومِهَا وَشُحُومِهَا وَدُهْنِهَا، وَمِنْ مُشْتَقَّاتِ أَلْبَانِهَا تَأْكُلُونَ. (*) (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

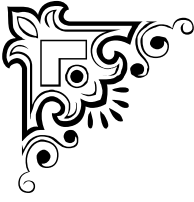
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى - السَّبْتُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ / ١٩-١٠-٢٠١٣م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيلُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [النحل: ٥].

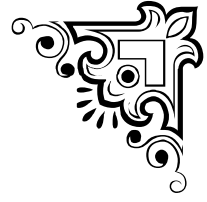
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ ظِلَالِ الْأَبْنِيَّةِ وَالْجُدْرَانِ وَالْأَشْجَارِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِدَارِ مَا تَسْكُنُونَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ؛ كَالْأَسْرَابِ، وَالْمَغَارَاتِ، وَالْكُهُوفِ وَنَحْوِهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ قُمْصًا وَثِيَابًا مِنَ الْقُطْنِ، وَالصُّوفِ، وَالْكَتَّانِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، تَمْنَعُكُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النحل: ٨١].



مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانَاتِ



إِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى مَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى النَّاسِ، وَإِنَّمَا يَتَعَدَّى؛
لِيَشْمَلَ مَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى الْحَيَوَانِ وَالْجَمَادِ.

إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ الرَّحْمَةِ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَقْبَلْ أَنْ تُحْرَقَ قَرْيَةُ النَّمْلِ،
وَبَيَّنَ أَنَّهُ «لَا يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ؛ إِذْ رَأَتْهُ
بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مُوقَهَا -أَي: خُفَّهَا-، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ -أَي:
بِالْخُفِّ-، فَسَقَتْهُ -أَي: فَسَقَتْ الْكَلْبَ- إِيَّاهُ، فُغْفِرَ لَهَا بِهِ»^(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دِينٌ يَرْحَمُ رَبُّهُ مَنْ رَحِمَتْ كَلْبًا، وَهِيَ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ
رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧، و٦٩٢٢)، من حديث: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٧) ومواضع، ومسلم (٢٢٤٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣١٨) ومواضع، ومسلم (٢٢٤٢).

أَيُّ: مِنْ هَوَامَّهَا، هَذِهِ امْرَأَةٌ يُعَذِّبُهَا اللَّهُ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَرْحَمْ هَذَا الْحَيَوَانَ. (*)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَنْزَعُ فِي حَوْضِي، حَتَّى إِذَا مَلَأْتُهُ لِابْنِي؛ وَرَدَّ عَلَيَّ الْبَعِيرُ لِعِيرِي فَسَقَيْتُهُ؛ فَهَلْ لِي فِي ذَلِكَ مِنْ أَجْرٍ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ» (٢). رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

سَقَيْتُ الْمَاءَ؛ حَتَّى وَلَوْ لِلْكَلابِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ لِلْكَلبِ الضَّالِّ فِيهِ أَجْرٌ عِنْدَ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ!!

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ؛ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ، فَوَجَدَ بَيْتًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعُطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعُطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبَيْتَ، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ - أَيُّ: صَعِدَ -، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «دَاعِشْ وَذَبْحِ الْأَقْبَاطِ الْمِصْرِيِّينَ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٦ هـ | ٢٠-٢-٢٠١٥ م.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٠٧٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٩٥٦)، وَالحديث في «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٣٦٣) وَمَوَاضِعُ، وَمُسْلِمٌ (٢٢٤٤).

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟

قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»^(١).

«فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ؛ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»^(٢). فِي رِوَايَةٍ ابْنِ حَبَّانَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ. (*)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَيَّدَ بِقَوْلِهِ: «كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»؛ فَلَا يَذْهَبَنَّ أَحَدٌ إِلَى شَجَرَةٍ لَهَا ظِلٌّ يَفِيءُ إِلَيْهِ النَّاسُ، ثُمَّ يَقُولُ: لَيْنَ قَطَعْتُ هَذِهِ؛ فَلَا تَحْصِلَنَّ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ!! بَلْ إِنَّهُ يَكُونُ آثِمًا. (*) (٢/٢).



(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٣، ٢٤٦٦، ٦٠٠٩)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (رقم ٥٤٣ - الإحسان).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ

١٤٣٣هـ | ٣-٨-٢٠١٢م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» -

الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ | ١٣-٧-٢٠١٤م.

مَفْهُومُ الْعَمَلِ السَّيِّئِ وَجُمْلَتُهُ مِنْ صُورِهِ

إِنَّ الْعَمَلَ السَّيِّئَ يَشْمَلُ كُلَّ عَمَلٍ يُغْضِبُ اللَّهَ ﷻ، وَيَخْرُجُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ دَائِرَةِ
الإِصْلَاحِ إِلَى الإِفْسَادِ، وَالسَّيِّئُ مِنَ السُّوءِ، فِي «الْمَوْسُوعَةِ»: السُّوءُ: مِنْ سَاءَ سَوْءًا
وَمَسَاءَةً وَمَسَائِيَّةً، نَقِيضُ سَرَّةٍ.

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: «فَأَمَّا (السَّيْنُ وَالْوَاوُ وَالْهَمْزَةُ)؛ فَهِيَ مِنْ بَابِ الْقُبْحِ، تَقُولُ:
رَجُلٌ أَسْوَأُ؛ أَيْ: قَبِيحٌ، وَامْرَأَةٌ سَوْءٌ؛ أَيْ: قَبِيحَةٌ، قِيلَ: سَوْءٌ وَلَوْ دُ خَيْرٌ مِنْ
حَسَنَاءٍ عَقِيمٍ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ السَّيِّئَةُ سَيِّئَةً».

وَقَوْلُهُمْ: سَاءَهُ يَسُوءُهُ؛ أَيْ: فَعَلَ بِهِ مَا يَكْرَهُ، وَأَسَاءَ إِلَيْهِ، نَقِيضُ أَحْسَنَ.
وَالسُّوْءَى: نَقِيضُ الْحُسْنَى، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ أُسْتُوا
السُّوْءَى﴾ [الروم: ١٠].

وَالسَّوْءَةُ: الْعَوْرَةُ، وَالْفَاحِشَةُ، وَسُوءُ الرَّجُلِ سَوَايَةٌ وَمَسَايَةٌ -مُخَفَّفَانِ-؛
أَيْ: سَاءَهُ مَا رَأَاهُ مِنْي، وَتَقُولُ: اسْتَاءَ الرَّجُلُ، كَمَا تَقُولُ مِنَ الْغَمِّ: اغْتَمَّ الرَّجُلُ.
وَيُقَالُ: سَاءَ مَا فَعَلَ فُلَانٌ؛ أَيْ: قَبَحَ صَنِيعُهُ صَنِيعًا، وَسُوءُ لَهُ وَجْهَهُ: قَبَحَتْهُ،
وَيُقَالُ: أَسَأْتُ بِهِ وَإِلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَلَهُ، قَالَ -عَزَّ مِنْ قَائِلٍ-: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ
لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

وَيُقَالُ: هُوَ سَيِّءٌ إِذَا قَبِحَ، وَالْأُنْثَى سَوَاءٌ؛ أَي: قَبِيحَةٌ، وَالسَّوَاءُ: الْمَرْأَةُ الْمُخَالَفَةُ، وَالسَّوَاءُ السَّوَاءُ: الْخَلَّةُ الْقَبِيحَةُ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ قَبِيحَةٍ وَفَعْلَةٍ قَبِيحَةٍ فَهِيَ سَوَاءٌ.

وَأَسَاءَ الرَّجُلُ إِسَاءَةً: خِلَافُ أَحْسَنَ، وَأَسَاءَ الشَّيْءُ: أَفْسَدَهُ وَلَمْ يُحْسِنْ عَمَلَهُ، وَفِي الْمَثَلِ: «أَسَاءَ كَارُهُ مَا عَمِلَ»، وَالسَّيِّئَةُ: الْخَطِيئَةُ. (*)

مِنَ الْآيَاتِ الْجَامِعَةِ لِسَيِّئِ الْأَعْمَالِ: قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُلتَزِمِينَ بِجَاهِلِيَّاتِهِمْ فِي أَحْكَامِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ: مَا حَرَّمَ رَبِّي إِلَّا هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ الْخَمْسَ فِي كُلِّ الرِّسَالَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ:

الْمُحَرَّمُ الْأَوَّلُ: كِبَائِرُ الْمَعَاصِي؛ مِنْ شَهَوَاتِ الْفُرُوجِ الْمُعْلَنَةِ فِي بُيُوتِ الزِّنَى وَالطَّرِيقَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالَّتِي تَكُونُ فِي السِّرِّ مَعَ الْخَلِيلَاتِ وَالصَّدِيقَاتِ وَالْأَخْدَانِ وَنَحْوِهِنَّ.

الثَّانِي: حَرَّمَ الْمَعَاصِي كُلَّهَا؛ كِبَائِرُهَا وَصَغَائِرُهَا وَمَا بَيْنَهُمَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «سُوءُ الظَّنِّ وَكُفْهُ الْمَطَارِيدِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ

الثَّالِثُ: وَحَرَّمَ الظُّلْمَ وَالْعُدْوَانَ عَلَى حُقُوقِ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَفْرَادِ،
وَالِاسْتِطَالَةَ عَلَى النَّاسِ، وَمُجَاوَزَةَ الْحَدِّ بِغَيْرِ الْحَقِّ.

الرَّابِعُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ: حَرَّمَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ
حُجَّةٌ وَبُرْهَانًا.

وَالْخَامِسُ: وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقْتُرُوا الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِتَحْرِيمِ
الْحَلَالِ وَتَحْلِيلِ الْحَرَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَقُولُونَهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (*)

فَحَرَّمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ؛ كَالزِّنَا، وَاللُّوَاطِ،
وَإِتْيَانِ النِّسَاءِ النَّسَاءِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ تِلْكَ
الْفَوَاحِشِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَبْدَانِ ظَاهِرًا، وَحَرَّمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا بَطَنَ مِنَ
الْفَوَاحِشِ -أَيْضًا-؛ مِنْ النِّفَاقِ، وَمِنْ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ، وَالْغِلِّ وَالضَّغِينَةِ،
وَمِنْ الْعُجْبِ، وَمِنْ مَحَبَّةِ الْمُحَمَّدَةِ وَالسُّمْعَةِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ
بِالْقُلُوبِ. (٢/*)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأعراف: ٣٣].

(٢/*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْحَرْبُ بِالْفَوَاحِشِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى

قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (*)

النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْفَكُ يَدْعُو رَبَّهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا؛ لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»^(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُرْشِدَهُ لِمَصَوِّبِ الْأَخْلَاقِ، وَيُوقِّعُهُ لِلتَّخَلُّقِ بِهِ، وَأَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ قَبِيحَ الْأَخْلَاقِ وَمَذْمُومَ الصِّفَاتِ، وَيُبْعِدَ ذَلِكَ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ ﷺ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، وَمَعَ أَنْ خُلِقَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ. (*) (٢/٢).

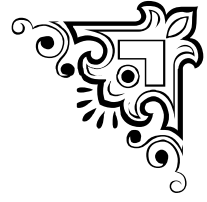
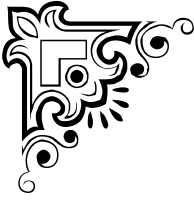


(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٥ / ٣٩٣، رقم ٢٧٦٦)، وَمُسْلِمٌ: (١ / ٩٢، رقم ٨٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٧ هـ / ١٨-٣-٢٠١٦ م.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: (١ / ٥٣٤ - ٥٣٥، رقم ٧٧١).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِنْ كِتَابٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ». الطَّبَعَةُ الثَّالِثَةُ.



أَقْبَحُ الْعَمَلِ السَّيِّئِ:

الشِّرْكَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

الشِّرْكَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، وَهُوَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ، وَأَقْبَحُ الْقَبَائِحِ، وَهُوَ الذَّنْبُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ ﷻ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. (*)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟

قَالَ: «الشِّرْكَ بِاللَّهِ...». الْحَدِيثُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (*) (٢/).

وَأَمَّا أَفْسَامُهُ؛ فَالشِّرْكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ شِرْكَاً أَكْبَرَ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ شِرْكَاً أَصْغَرَ.

الشِّرْكَ الْأَكْبَرُ: هُوَ تَسْوِيَةُ غَيْرِ اللَّهِ بِاللَّهِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ؛ كَدُعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ، وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَهَذَا كُلُّهُ شِرْكَ أَكْبَرُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ السَّابِعَةُ: بَابُ: الْخَوْفُ

مِنْ الشِّرْكِ» - الْأَحَدُ ٢٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥ هـ | ٢٠-٧-٢٠١٤ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ

جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٧ هـ | ١٨-٣-٢٠١٦ م.

وَأَمَّا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ: فَهُوَ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّهُ شِرْكٌ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى حَدِّ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ؛ كَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَقَوْلِ الْقَائِلِ: لَوْ لَا اللَّهُ وَفُلَانٌ.

عِبَادَ اللَّهِ! مِنَ الْفُرُوقِ بَيْنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ وَالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ:

- الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ: يُخْرِجُ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ.

وَالْأَصْغَرُ: لَا يُخْرِجُ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ.

- الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ: يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ.

وَالْأَصْغَرُ: لَا يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ.

- الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ: يُحِبِطُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ.

وَالشِّرْكُ الْأَصْغَرُ: يُحِبِطُ الْعَمَلَ الَّذِي قَارَنَهُ؛ كَمَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رِيَاءً؛ فَهَذَا لَا أَجَرَ لَهُ، بَلْ عَلَيْهِ إِثْمٌ.

- الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ: يُبِيحُ النَّفْسَ وَالْمَالَ؛ مَا لَمْ يَكُنْ ذِمِّيًّا، أَوْ مُعَاهِدًا مُسْتَأْمَنًا.

وَالشِّرْكُ الْأَصْغَرُ: لَا يُبِيحُ النَّفْسَ وَالْمَالَ.

وَأَمَّا مَا دُونَ الشِّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ: فَالذُّنُوبُ الَّتِي دُونَ الشِّرْكِ دَاخِلَةٌ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ اللَّهُ لِلْمُذْنِبِ بِفَضْلِهِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِعَذْلِهِ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ؛ قَالَ ﷺ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ أَي: مَا دُونَ الشِّرْكِ.

الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَانُوا يَخَافُونَ مِنَ الشِّرْكِ؛ فَهَذَا خَلِيلُ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى بَنِيهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَهُوَ الَّذِي

جَعَلَهُ اللَّهُ أُمَّةً وَحْدَهُ، وَكَسَّرَ الْأَصْنَامَ بِيَدِهِ، فَدَعَا رَبَّهُ لِنَفْسِهِ وَلِإِنِّهِ أَنْ يُجَنِّبَهُمُ اللَّهُ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ لَمَّا رَأَى أَكْثَرَ النَّاسِ قَدْ افْتَنُوا بِهَا: ﴿رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

فَكَثَرَةُ الْهَالِكِينَ بَاعِثَةٌ عَلَى الْخَوْفِ مِنْ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ وَالضَّلَالِ، وَمَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ!!

فَإِذَا كَانَ الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- خَافَ الشَّرْكَ عَلَى نَفْسِهِ -وَهُوَ مَنْ هُوَ-، وَخَافَهُ عَلَى بَنِيهِ؛ فَنَحْنُ أَوْلَى بِالْخَوْفِ مِنْهُ.

فَيَجِبُ الْحَذَرُ مِنَ الشَّرْكِ كُلِّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: مَا وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الْمُتَنَسِّينَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ بِسُؤَالِهِمْ قَضَاءَ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجَ الْكُرْبَاتِ، وَبِالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ لَهُمْ، وَطَلَبِ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ؛ وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَلَا كَفَّارَةَ لِهَذَا الشَّرْكِ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ وَإِلَّا فَمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الْخَوْفِ مِنَ الشَّرْكِ وَجُوبًا.

وَالْخَوْفُ: هُوَ تَوَقُّعُ مَكْرُوهِ، وَهُوَ ضِدُّ الْأَمْنِ.

وَالشَّرْكَ: هُوَ صَرْفُ شَيْءٍ مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﷻ. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ السَّابِعَةُ: بَابُ: الْخَوْفُ مِنَ الشَّرْكِ» - الْأَحَدُ ٢٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥ هـ | ٢٠-٧-٢٠١٤ م.

إِنَّ الْمُشْرِكَ مُوزَعُ الْقَلْبِ، مُقْلَقُ الْبَالِ، لَا يَهْدَأُ لَهُ ضَمِيرٌ، وَلَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ؛ لِأَنَّ الشَّرْكَ يُحَرِّمُ عَلَى صَاحِبِهِ دُخُولَ الْجَنَّةِ، وَيُوجِبُ لَهُ النَّارَ وَالْخُلُودَ فِيهَا، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ فَهُوَ فِي الْحَيَاةِ كَالْأَنْعَامِ؛ بَلْ هُوَ أَضَلُّ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ. (*)

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ نَشَاطٍ وَحَرَكَةٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ؛ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، فَتَحَقَّقْ - حِينَئِذٍ - وَحْدَةَ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَهْدَأْ وَتَسْتَقِرُّ الرُّوحُ، وَيَطْمَئِنُّ الضَّمِيرُ، وَيَهْدَأُ الْجَنَانُ، وَتَسْتَقِيمُ عَلَى الصِّرَاطِ الْأَقْدَامُ.

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

عَبْدٌ وَاحِدٌ لِرَبٍّ وَاحِدٍ، لِإِلَهِ وَاحِدٍ، يُحَقِّقُ أَمْرَهُ، وَيَجْتَنِبُ نَهْيَهُ، وَيَعْبُدُهُ مُخْلِصًا لَهُ الْعِبَادَةَ وَالدِّينَ؛ أَهَذَا فِي اسْتِقْرَارِ قَلْبِهِ، وَقَرَارِ ضَمِيرِهِ، وَرَاحَةِ فُؤَادِهِ وَرُوحِهِ كَمَنْ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ، هَذَا يَأْمُرُهُ وَهَذَا يَنْهَاهُ، وَهَذَا يُقِيمُهُ وَهَذَا يُقْعِدُهُ، وَهَذَا يُوقِظُهُ وَهَذَا يُنِيْمُهُ!!؟ فَانِّي يَسْتَقِرُّ لِهَذَا قَلْبٌ عَلَى قَرَارٍ!!؟

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا!!؟﴾

سَيُجِيبُ كُلُّ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ عَقْلاً: لَا يَسْتَوِيَانِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .. لَقَدْ نَطَقْتُمْ أَنْتُمْ، وَأَجَبْتُمْ عَنِ الْمَثَلِ الَّذِي ضَرَبْتُ لَكُمْ
لِلْمُوحِدِ وَالْمُشْرِكِ.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟!!﴾

وَالْجَوَابُ هَا هُنَا مَحْذُوفٌ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ، وَالتَّعْقِيبُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي
مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

هَذَا حَالُ الْمُشْرِكِ!!

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا
اللَّهَ﴾ [الأنعام: ٧١].

تَأَمَّلْ فِي مَثَلِ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ: ﴿كَأَلَيْدِ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ
أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا قُلَّ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

إِنَّ الشُّرَكَ يَقْضِي عَلَى مَنَازِعِ النَّفْسِ السَّامِيَةِ، وَيُحْطَمُ مِثْلُهَا الْعُلْيَا.

إِنَّ الشُّرَكَ مُسَوَّغٌ لِلْخُرَافَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ.

إِنَّ الشُّرَكَ مَبْعَثٌ لِلْمَخَافِ.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا لَا

أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ

أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ﴿١﴾ مِنَ الْإِلَهِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ ﴿٢﴾ وَلَا تَخَافُونَ
أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴿٣﴾، مَا أَعْجَبَ الْمُفَارِقَةَ ﴿٤﴾ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ [الأنعام: ٨٠-٨١].

كَيْفَ أَخَافُ إِلَهَتَكُمْ الْبَاطِلَةَ الَّتِي لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ فِي
الْوَقْتِ عَيْنِهِ «الله» الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؟!!!

كَيْفَ أَخَافُ إِلَهَتَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَخَافُونَ إِلَهَ الْحَقِّ الَّذِي أَعْبُدُ؟!!!

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا
إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢].

عِبَادَ اللَّهِ! الشِّرْكَ يُحْبِطُ الْعَمَلَ دُنْيَا وَآخِرَةً. (*).

فَيَجِبُ -إِذَنْ- أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْخَطَرَ الْعَظِيمَ؛ لِتَجْتَنِبَهُ، وَأَنْ تَعْرِفَ هَذَا
الشِّرْكَ وَتِلْكَ الشَّبَكَةَ؛ لِتَتَوَقَّى كُلَّ مَا يُقَرِّبُكَ مِنْهَا؛ فَضَلًّا عَنْ أَنْ يُوَرِّطَكَ فِيهَا،
وَذَلِكَ بِأَنْ تَعْرِفَ التَّوْحِيدَ، وَمِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ: أَنْ تَعْرِفَ الشِّرْكَ أَيُّضًا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ
تَجْتَنِبَهُ؛ حَتَّى لَا تَقَعَ فِيهِ؛ لِأَنَّ أَمْرَ الشِّرْكَ عَظِيمٌ. (* / ٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ
١٤٣٣هـ / ٢٨-٠٩-٢٠١٢م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «المُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ: مَوْضُوعُ كِتَابِ
التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ / ١٩-٧-٢٠١٤م.

مِنْ أخطرِ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ: الْبِدْعُ

إِنَّ مِنْ أخطرِ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَأَبغَضِهَا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْإِبْتِدَاعُ فِي الدِّينِ،
وَالْإِبْتِدَاعُ قِسْمَانِ:

إِبْتِدَاعٌ فِي الْعَادَاتِ، وَإِبْتِدَاعٌ فِي الدِّينِ.

الْإِبْتِدَاعُ فِي الْعَادَاتِ: كَاِبْتِدَاعِ الْمُخْتَرَعَاتِ الْحَدِيثَةِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ
الْاِكْتِشَافَاتُ الْعِلْمِيَّةُ بِأَنْوَاعِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، فَهَذَا مُبَاحٌ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَادَاتِ
الْإِبَاحَةُ.

وَأَمَّا الْإِبْتِدَاعُ فِي الدِّينِ: فَهَذَا مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ التَّوْقِيفُ، قَالَ ﷺ:
«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ.

وَقَالَتْ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ، وَكَذَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ -وَلَكِنْ تَعْلِيْقًا مَجْزُومًا بِهِ-:
«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٥ / ٣٠١، رَقْم ٢٦٩٧)، وَمُسْلِمٌ: (٣ / ١٣٤٣، رَقْم ١٧١٨).

(٢) ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ مُعَلَّقًا مَجْزُومًا بِهِ: (١٣ / ٣١٧)، وَأَخْرَجَهُ مُوْصُولًا مُسْلِمٌ: (٣ / ١٣٤٣،

الْبِدْعُ فِي الدِّينِ عَلَى أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنْ فَلْنَنْظُرْ فِي نَوْعَيْنِ:
النَّوعُ الْأَوَّلُ: بِدْعَةُ قَوْلِيَّةٌ اعْتِقَادِيَّةٌ.

وَالنَّوعُ الثَّانِي: بِدْعَةُ فِي الْعِبَادَاتِ.

النَّوعُ الْأَوَّلُ: بِدْعَةُ قَوْلِيَّةٌ اعْتِقَادِيَّةٌ: كَمَقَالَاتِ الْجَهْمِيَّةِ، وَالْمُعْتَزَلَةِ،
وَالرَّافِضَةِ، وَسَائِرِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ.

النَّوعُ الثَّانِي: بِدْعَةُ فِي الْعِبَادَاتِ: كَالْتَّعَبُّدِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعِبَادَةٍ لَمْ يَشْرَعْهَا.

حُكْمُ الْبِدْعَةِ فِي الدِّينِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا: أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ وَضَلَالَةٌ: «إِيَّاكُمْ
وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (١).
«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

وَأَمَّا مَنْ قَسَمَ الْبِدْعَةَ إِلَى بِدْعَةٍ حَسَنَةٍ وَبِدْعَةٍ سَيِّئَةٍ؛ فَهُوَ غَالِطٌ مُخْطِئٌ، مُخَالِفٌ
لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»؛ فَحَكَمَ ﷺ عَلَى الْبِدْعِ كُلِّهَا بِأَنَّهَا ضَلَالَةٌ،
لَمْ يَقُلْ إِلَّا بِدْعَةٌ كَذَا، وَلَا إِلَّا بِدْعَةٌ كَذَا؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ. (*)

وَتَأَمَّلْ فِي كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ؛ فَإِنَّهُ يَدِيعُ جِدًّا
فَاخِرِصْ عَلَيْهِ، كَانَ يُنَاطِرُ بَعْضَ أَهْلِ الْبِدْعِ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَقَالَ لِي مَنْ أُنَاطِرُهُ:

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: (٤ / ٢٠٠ - ٢٠١، رقم ٤٦٠٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ: (٥ / ٤٤ - ٤٥، رقم

٢٦٧٦)، وَابْنُ مَاجَهَ: (١ / ١٥ - ١٦، رقم ٤٢ و ٤٣).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»:

(٢ / ٦١٠، رقم ٩٣٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَّةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ»

- السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥ هـ | ١٩-٧-٢٠١٤ م.

الْبِدْعَةُ مِثْلُ الزَّنى، وَرَوَى حَدِيثًا فِي ذِمِّ الزَّنى، فَقُلْتُ: هَذَا حَدِيثٌ مُوْضُوعٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالزَّنى مَعْصِيَةٌ وَالْبِدْعَةُ شَرٌّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ»^(١).

الْبِدْعَةُ الْإِعْتِقَادِيَّةُ شَرٌّ مِنَ الزَّنى، شَرٌّ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، كَمَا بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَالَ لِلشَّارِبِ الْمَحْدُودِ: «إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(٢)، وَأَثْبَتَ لَهُ الْأُخُوءَةَ الْإِيمَانِيَّةَ: «لَا تُعِينِ الشَّيْطَانُ عَلَى أَخِيكَ»^(٣).

وَقَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ»^(٤).

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى»: (١١/ ٤٧٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١٢/ ٧٦، رَقْم ٦٧٨٠)، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلقَّبُ جِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١٢/ ٦٦ و ٧٥، رَقْم ٦٧٧٧ و ٦٧٨١)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِسُكْرَانَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ».

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ».

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١٢/ ٢٨٣، رَقْم ٦٤٩٣٠)، وَمُسْلِمٌ: (٢/ ٧٤٦، رَقْم ١٠٦٦)، مِنْ حَدِيثِ: عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِ رِوَايَةِ: عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«كِلَابُ النَّارِ، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»^(١).

فَإِذَنْ؛ الْمَعْصِيَةُ الَّتِي لَيْسَتْ بِبِدْعَةٍ لَيْسَتْ بِشَرٍّ مِنَ الْبِدْعِ - التَّفَتُّ لِهَذَا جَيِّدًا - . قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزَّنَى مَعْصِيَةٌ وَالْبِدْعَةُ شَرٌّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ؛ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ؛ فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا وَأَمَّا الْبِدْعَةُ فَلَا يُتَابُ مِنْهَا»^(٢).

قَالَ: «وَكَانَ قَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَحْنُ نَتُوبُ النَّاسَ؛ فَقُلْتُ: مِنْ مَادَا تَتُوبُونَهُمْ؟!!»

قَالَ: مِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَالسَّرِقَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ».

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: (٥ / ٢٢٦ رقم ٣٠٠٠)، وَابْنُ مَاجَهَ: (١ / ٦٢، رقم ١٧٦)، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي غَالِبٍ، قَالَ: رَأَى أَبُو أُمَامَةَ رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ، فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: «كِلَابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا حَتَّى عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَكَذَا حَسَنَ إِسْنَادُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي هَامِشِ «مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ»: (٢ / ١٠٥٥، رقم ٣٥٥٤).

(٢) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى»: (١١ / ٤٧٢).

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ فِي «حَدِيثِ ابْنِ الْجَعْدِ»: (ص ٢٧٢، رقم ١٨٠٩)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: اللَّالِكَايْنِيُّ فِي «شَرْحِ أَصُولِ الْأَعْتِقَادِ»: (١ / ١٤٩، رقم ٢٣٨)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»: (٧ / ٢٦)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ»: (١٢ / ٥٣ - ٥٤، رقم ٩٠٠٩)، وَالْهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلَامِ»: (٥ / ١٢٠ - ١٢١، رقم ٩١٤)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي إِلَى الْبِدْعِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ؛ إِلَى بَدْعِ الْقَبْرِِيَّةِ، إِلَى بَدْعِ الْخَوَارِجِ، إِلَى بَدْعِ الرَّافِضَةِ، إِلَى بَدْعِ الْمُرْجِيَّةِ، إِلَى بَدْعِ الْقَدَرِيَّةِ!! يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي إِلَى هَذِهِ الْبِدْعِ!!

«مِنْ مَاذَا تُتَوَبُّونَهُمْ؟! قَالَ: مِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَالسَّرِيقَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: فَقُلْتُ: حَالَهُمْ قَبْلَ تَتَوِيْبِكُمْ خَيْرٌ مِنْ حَالِهِمْ بَعْدَ تَتَوِيْبِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فَسَاقًا، يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَيَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَيَتَوَبُّونَ إِلَيْهِ أَوْ يَنْوُونَ التَّوْبَةَ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُمُوهُمْ بِتَتَوِيْبِكُمْ ضَالِّينَ مُشْرِكِينَ، خَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، يُحِبُّونَ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ، وَيُبْغِضُونَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَبَيَّنْتُ أَنَّ هَذِهِ الْبِدْعَةُ الَّتِي هُمْ وَغَيْرُهُمْ عَلَيْهَا شَرٌّ مِنَ الْمَعَاصِي»^(١).

إِخْرَاجُ النَّاسِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي يَعْتَقِدُونَهَا مَعْصِيَةً إِلَى الْبِدْعِ الَّتِي يَعْتَقِدُونَهَا قُرْبَةً وَطَاعَةً؛ هُوَ فِي ذَاتِهِ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ وَأَعْظَمِ الْآثَامِ؛ لِأَنَّهُ فِي حَقِيقَتِهِ دَعْوَةٌ إِلَى الْبِدْعَةِ، وَتَزْيِينٌ لَهَا فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَحْرِيفٌ لِدِينِهِ، وَطُمَسٌ لِمَعَالِمِهِ!!

فَلْيَتَّقِ اللَّهُ أَقْوَامًا! وَلْيَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَنِ وَفَرَادَى ثُمَّ يَتَفَكَّرُوا فِيمَا يَصْنَعُونَ!!(*)



(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى»: (١١ / ٤٧٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٢ هـ

مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ

لَمَّا كَانَ لِلصَّلَاةِ فَضْلٌ كَبِيرٌ وَفَوَائِدُ عَظِيمَةٌ - عِبَادَ اللَّهِ -؛ كَانَ فَقْدُهَا حَرَمَانًا كَبِيرًا، وَنَقْصًا فَادِحًا فِي الْإِسْلَامِ، وَمِنْ ثَمَّ حَذَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ مِنْ إِضَاعَتِهَا، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ عُقُوبَاتٍ مُتَنَوِّعَةً:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(١)

[الماعون: ٤-٥].

فَهَلَاكَ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ الَّتِي وَرِثُوا بَعْضَ

(١) أخرج عبد الرزاق في «التفسير»: (٣/ ٤٦٥، رقم ٣٧١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١/ ٢٨٠، رقم ٣٢١٨)، والبخاري في «المسند»: (٣/ ٣٤٤ - ٣٤٦، رقم ١١٤٥)، وأبو يعلى في «المسند»: (٢/ ٦٤، رقم ٧٠٥)، والبيهقي في «الكبرى»: (٢/ ٢١٤، رقم ٣١٦١)، من طرق: عَنْ مُصْعَبٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي سَعْدًا فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] أَسَهُوَ أَحَدَنَا فِي صَلَاتِهِ حَدِيثُ نَفْسِهِ؟ قَالَ سَعْدٌ: «أَوَلَيْسَ كُلُّنَا يَفْعَلُ ذَلِكَ؟ وَلَكِنَّ السَّاهِيَ عَنْ صَلَاتِهِ الَّذِي يُصَلِّيَهَا لِغَيْرِ وَقْتِهَا، فَذَلِكَ السَّاهِيَ عَنْهَا»، قَالَ مُصْعَبٌ مَرَّةً أُخْرَى: «تَرْكُهُ الصَّلَاةَ فِي مَوَاقِيتِهَا».

مَظَاهِرُهَا عَنْ دِينَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ تِلْكَ الصَّلَاةِ غَافِلُونَ تَارِكُونَ، لَا يَرْجُونَ ثَوَابًا عَلَى فِعْلِهَا، وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا عَلَى تَرْكِهَا. (*)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ (٢) وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾

[مريم: ٥٩-٦٠].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الإسراء: ٩٣ - ٩٥].

(٢) وأخرج المروزي في «تعظيم قدر الصلاة»: (١ / ١٣٦، رقم ٦٢)، والخلال في (٤ / ١٤٦، رقم ١٣٨٥)، والطبري في «جامع البيان»: (١٦ / ٩٩)، واللفظ له، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ يُكْثِرُ ذِكْرَ الصَّلَاةِ فِي الْقُرْآنِ ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٥] وَ﴿ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [المعارج: ٢٣] وَ﴿ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٢]، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: عَلَى مَوَاقِيتِهَا، قَالُوا: مَا كُنَّا نَرَى ذَلِكَ إِلَّا عَلَى التَّرَكِّ، قَالَ: ذَلِكَ الْكُفْرُ. وله بلفظ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ كَفَرَ».

وأخرج الطبري في «جامع البيان»: (١٦ / ٩٩)، بإسناد صحيح، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، بَعَثَ رَجُلًا إِلَى مِصْرَ لِأَمْرِ أَعْجَلَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَخَرَجَ إِلَى حَرَسِهِ، وَقَدْ كَانَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَقُومُوا إِذَا رَأَوْهُ، قَالَ: فَأَوْسَعُوا لَهُ، فَجَلَسَ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَعْرِفُ الرَّجُلَ الَّذِي بَعَثْنَاهُ إِلَى مِصْرَ؟ فَقَالُوا: كُلُّنَا نَعْرِفُهُ، قَالَ: فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ سِنًا، فَلْيَدْعُهُ، فَاتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: لَا تَعْجَلْنِي أَشَدُّ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَاتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ الْيَوْمَ الْجُمُعَةُ، فَلَا تَبْرَحَنَّ حَتَّى تُصَلِّيَ، وَإِنَّا بَعَثْنَاكَ فِي أَمْرِ أَعْجَلَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَعْجَلَنَّكَ مَا بَعَثْنَاكَ لَهُ أَنْ تُوَخَّرَ الصَّلَاةُ عَنْ مِيقَاتِهَا، فَإِنَّكَ مُصَلِّيُهَا لَا مُحَالَةَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا غِيًّا ﴾ [مريم: ٥٩] ثُمَّ قَالَ: لَمْ يَكُنْ إِضَاعَتُهُمْ تَرْكِهَا، وَلَكِنْ أَضَاعُوا الْوَقْتَ.

وَقَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَتَّصِفُونَ بِخَمْسِ صِفَاتٍ سُلوْكِيَّةٍ، يَبْتَنِيهَا هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ؛ مِنْهَا: أَنَّهُمْ إِذَا قَامَ الْمُنَافِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا مُتَشَاقِلِينَ؛ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بَاطِنًا، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِجَدْوَى الصَّلَاةِ، وَلَا يَتَذَوِّقُونَ حَلَاوَتَهَا، وَلَا يَشْعُرُونَ بِلَذَّةِ مُنَاجَاةِ اللَّهِ فِيهَا. (*)

وَقَالَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ وَقَدْ سُئِلُوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿[المدر: ٤٢-٤٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] أَيْ: إِذَا أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ لَا يُصَلُّونَ.

فِي «مُخْتَصَرِ التَّفْسِيرِ»: «إِذَا أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ الْعِبَادَاتِ، وَقِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا؛ امْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ». (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النساء: ١٤٢].

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى كِتَابِ «صِفَةُ الصَّلَاةِ» - الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَّةُ - الثَّلَاثَاءُ ٢٩ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٥ هـ | ٢٩-٤-٢٠١٤ م، وَتَفْسِيرُ الْآيَاتِ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ^(١). (*)

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ: «مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيُثَلِّغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهَّدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتَّبِعُ الْحَجَرُ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى».

فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَقِيلَ: «إِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ». وَهُوَ حَدِيثُ الْمَنَامِ الطَّوِيلُ الَّذِي رَوَاهُ سَمُرَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ» ^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: (٥ / ١٣ - ١٤، رقم ٢٦٢٤)، النَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى»: (١ / ٢٣١، رقم ٤٦٣)، وَابْنُ مَاجَهَ فِي «السُّنَنِ»: (١ / ٣٤٢، رقم ١٠٧٩)، مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»: (١ / ٣٦٦، رقم ٥٦٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ - مُجْمَلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ» الْمُحَاضَرَةُ الْعِشْرُونَ - الْأَحَدُ ٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧ هـ | ٤-٩-٢٠١٦ م.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (٣ / ٢٤، رقم ١١٤٣)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤ / ١٧٨١، رقم ٢٢٧٥)، مُخْتَصَرًا.

وَهَذَا الْعَذَابُ فِي الْبَرْزَخِ بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ إِلَى أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ إِذَا شَاءَ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ، فَهَذَا عَذَابُ بَرْزَخِيٍّ.

وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ؛ فَلَا أَمْرَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ «مَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَى هَذِهِ الصَّلَوَاتِ؛ فَلَيْسَ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُحْشَرُ مَعَ أَيْمَةِ الْكُفْرِ؛ مَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ وَأَبِي بَنْ خَلَفٍ»^(١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَأَدَّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَكُمْ أَنْ «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ»^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٢ / ١٦٩، رقم ٦٥٧٦)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي الْمُتَخَبِّ مِنْ «الْمُسْنَدِ»: (١ / ٢٨٥، رقم ٣٥٣)، وَالذَّارِمِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٣ / ١٧٨٩، رقم ٢٧٦٣)، الْمَرْوَزِيُّ فِي «تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ»: (١ / ١٣٣ - ١٣٤، رقم ٥٨)، وَالْخَلَالُ فِي «السَّنَةِ»: (٤ / ٧٥ - ٧٦، رقم ١١٩٦)، وَابْنُ حَبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِرَتِّيبِ ابْنِ لَبْلَبَانَ: (٤ / ٣٢٩، رقم ١٤٦٧)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ»: (٤ / ٣١٢، رقم ٢٥٦٥)، وَغَيْرُهُمْ، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ إِسْنَادُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْثَمَرِ الْمُسْتَطَابِ»: (١ / ٥٢ - ٥٣).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: (١ / ١٣٣، رَقَمَ ٤٩٥)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالْحَدِيثُ صَحِيحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: (١ / ١٤٤ - ١٤٥).

فَمَنْ مِنْكُمْ رَاعَى هَذِهِ الْأَمَانَةَ الَّتِي حَمَلَهُ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟!

أَكْثَرَ النَّاسِ عَنْ هَذَا غَافِلُونَ؛ لَكِنَّهُمْ إِلَى أَمْوَالِهِمْ وَحُطَامِ الدُّنْيَا مُتَّبِعُونَ، يَسْهَرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَنْمِيَةِ هَذَا الْمَالِ، ثُمَّ يَدْعُونَهُ لِمَنْ يَرِثُهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ أَوْلَادِهِمُ الَّذِينَ يَكُونُونَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِذَا صَلَحُوا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ؛ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

أَفَلَا تَخَافُونَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ؟!

أَفَلَا تَخَافُونَ أَنْ يَكُونَ عِقَابُكُمْ عَلَى تَرْكِ تَرْبِيَةِ أَوْلَادِكُمْ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْعَاقِينَ لَكُمْ جَزَاءٌ وَفَاقًا؟!

إِنَّ مَنْ لَمْ يُرَاعِ حَقَّ اللَّهِ فِي تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِ؛ يُوشِكُ أَلَّا يُرَاعُوا حَقَّ اللَّهِ فِيهِ إِذَا كَبُرَ وَمَاتَ.

فَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ تُرَبُّوا أَوْلَادَكُمْ مَا دَامُوا نَشْأًا يَتَقَبَّلُونَ.. عَلَى مَحَبَّةِ الصَّلَاةِ، وَمَحَبَّةِ الْحُضُورِ إِلَى الْمَسَاجِدِ. (*)



(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٣/ ١٢٥٥، رقم ١٦٣١)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيلِ عَلَى كِتَابِ: «صِفَةُ الصَّلَاةِ» - الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَّةُ - الثُّلَاثَاءُ ٢٩

مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٥هـ/ ٢٩-٤-٢٠١٤م.

مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ: الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ

مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَأَشْنَعِهَا: الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ؛ يَنْشُرُ الْأَفْكَارَ الْهَدَامَةَ، وَيَنْشُرُ الْإِشَاعَاتِ الْكَاذِبَةَ، وَالْإِعْتِدَاءَ عَلَى الْأَمِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. (*)

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿[المائدة: ٣٣-٣٤].

«الْمُحَارِبُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ هُمُ الَّذِينَ بَارَزُوهُ بِالْعَدَاوَةِ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ، وَالْقَتْلِ، وَآخِذِ الْأَمْوَالِ، وَإِخَافَةِ السُّبُلِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ: ١٤٣٨ هـ (فَتْرَانُ السُّدُودِ) - الْأَحَدُ ١ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨ هـ | ٢٥-٦-٢٠١٧ م.

وَالْمَشْهُورُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ فِي أَحْكَامِ قُطَاعِ الطَّرِيقِ الَّذِينَ يَعْرِضُونَ لِلنَّاسِ فِي الْقُرَى وَالْبَوَادِي، فَيَغْصِبُونَهُمْ أَمْوَالَهُمْ، وَيَقْتُلُونَهُمْ، وَيُخَيِّفُونَهُمْ، فَيَمْتَنِعُ النَّاسُ مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ الَّتِي هُمْ بِهَا، فَتَنْقَطِعُ بِذَلِكَ. فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ جَزَاءَهُمْ وَنَكَالَهُمْ عِنْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ: أَنْ يُفْعَلَ بِهِمْ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ»^(١).

عِبَادَ اللَّهِ! إِنْ قَطَعَ الطَّرِيقَ، وَتَرَوَّعَ الْأَمِينُ وَالسَّابِلَةُ، وَإِخَافَةَ النَّاسِ، وَتَخْرِيبَ الْمُنَشَّاتِ، وَتَفْجِيرَ الْأَبْرَاجِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ وَالْأَكْشَاكِ، وَالْإِعْتِدَاءَ عَلَى الْمُمْتَلَكَاتِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْحَرَابَةِ؛ مِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، مِمَّا يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْعَارَ وَالشَّرَّارَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا لَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْعَظِيمِ فِي الْآخِرَةِ. (*)

وَمِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ: الْإِفْسَادُ فِي الطَّرِيقِ وَالْأَمَاكِينِ الْعَامَّةِ؛ فَيَحْرُمُ -مَثَلًا- عَلَى مَنْ أَرَادَ قَضَاءَ الْحَاجَةِ الْبَوْلِ أَوْ الْغَائِطِ فِي الطَّرِيقِ، أَوْ فِي الظِّلِّ، أَوْ فِي الْحَدَائِقِ الْعَامَّةِ، أَوْ تَحْتَ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، أَوْ فِي مَوَارِدِ الْمِيَاهِ؛ لِمَا رَوَى مُعَاذٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِينَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ»^(٣).

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: ص ٢٢٩.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ شَعْبَانَ

١٤٣٦ هـ | ٢٢ - ٥ - ٢٠١٥ م.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السَّنَنِ»: كِتَابُ الطَّهَّارَةِ، بَابُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الْبَوْلِ فِيهَا، ٧/١، رَقْمُ (٢٦)، وَابْنُ مَاجَهَ فِي «السَّنَنِ»: كِتَابُ الطَّهَّارَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْخَلَاءِ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، ١/١١٩، رَقْمُ (٣٢٨).

مَا الَّذِي أَتَى بِهِ أَهْلُ الْعَصْرِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَهُ؟!!!
نَحْنُ الَّذِينَ عَلَّمْنَا الدُّنْيَا النَّظَافَةَ..

وَنَحْنُ الَّذِينَ عَلَّمْنَا الدُّنْيَا النَّظَامَ..

وَمَا عِنْدَ الْآخِرِينَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ خَيْرٍ؛ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ آثَارِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّا
أَخَذُوهُ مِنَّا..

نَحْنُ عَلَّمْنَا الدُّنْيَا كُلَّهَا النَّظَافَةَ وَالنَّظَامَ..

وَعَلَّمْنَا الدُّنْيَا كُلَّهَا هَذِهِ الْأُصُولَ الْعَامَّةَ الَّتِي يَسْلَمُ الْإِنْسَانُ بِهَا فِي الْحَيَاةِ..

«اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ - وَهِيَ طُرُقُ الْمَاءِ -، وَقَارِعَةُ
الطَّرِيقِ - قَارِعَةُ الطَّرِيقِ: وَسَطُهَا -، وَالظِّلَّ».

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ».

قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

اللَّاعِنَانِ: الْأَمْرَانِ الْمُوجِبَانِ لِلْعِنِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ فَعَلَهُمَا لَعِنَ وَشْتِمَ، فَصَارَ
هَذَا سَبَبًا، ثُمَّ أُضِيفَ إِلَيْهِمَا الْفِعْلُ فَكَانَا كَأَنَّهُمَا اللَّاعِنَانِ، وَإِنَّمَا هُمَا مُسْتَجْلِبَانِ
لِلْعِنِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَعِنَ وَشْتِمَ.

«قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!»؛ وَمَا الْأَمْرَانِ الْمُسْتَجْلِبَانِ لِلْعِنِ مَنْ

فَعَلَهُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!!!

=

والحديث حسنه بشواهد الألباني في «صحيح أبي داود»: ٥٥ / ١، رقم (٢١)، وفي

«إرواء الغليل»: ١ / ١٠٠، رقم (٦٢)، وروي -أيضاً- عن ابن عباس وجابر بنحوه.

قَالَ ﷺ: «الَّذِي يَتَخَلَّى -أَي: يَقْضِي حَاجَتَهُ- فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ» (١)، فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ لَعَنُوا فَاعِلَهُ وَشَتَمُوهُ وَسَبُّوهُ. (*)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ؛ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ» (٣). (*) (٢).

وَقَالَ ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (٥). (*) (٣).

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كِتَابِ الطَّهَّارَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّخَلِّي فِي الطُّرُقِ وَالظَّلَالِ، ٢٢٦/١، رقم (٢٦٩)، بلفظ: «اتَّقُوا اللَّعَانِينَ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟... الحديث.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ الطَّهَّارَةِ مِنَ الْفَقْهِ الْمُسِيرِ» - الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ - الْأَرْبَعَاءُ ٢٤ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٢هـ | ٢٧-٤-٢٠١١م.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٣/٢٠٠، رقم ٣٠٥٠)، من حديث: حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «الصحيحة»: (٥/٣٧٢-٣٧٣، رقم ٢٢٩٤). (*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حَاشِيَةٌ عَلَى مَتْنِ الْوُطْنِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٩هـ | ٢٠-٤-٢٠١٨م.

(٥) أخرجه ابن ماجه: (٢/٧٨٤، رقم ٢٣٤٠)، من حديث: عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أيضا: (رقم ٢٣٤١)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والحديث صححه الألباني في «إرواء الغليل»: (٣/٤٠٨، رقم ٨٩٦)، وروي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وجابر وعائشة وثعلبة بن أبي مالك القرظي وأبي لبابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بنحوه.

(*) (٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» (الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ) - الْأَرْبَعَاءُ ٢٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ | ٢٧-١١-٢٠١٣م.

مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَتَضْيِيعُ الْأَهْلِ

إِنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَتَضْيِيعُ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ، وَعَدَمَ رِعَايَتِهِمْ، وَإِهْمَالَ تَرْبِيَّتِهِمْ التَّرْبِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الصَّالِحَةَ؛ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ^(١)، عَنْ أَبِيهِ ^(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثَلَاثًا. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ، وَكَانَ مُتَكِنًا - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ».

مَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْتُ: لَيْتَهُ سَكَتَ ^(٣). هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِمَا».

(١) انْظُرْ: «التَّارِيخُ الْكَبِيرُ» (٧٣٨)، وَ«تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» (٣٧٧١).

(٢) هُوَ نَفِيعُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلَاجِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَبُو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ، كَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ لِتَدْلِيهِ بِبَكْرَةَ مِنَ الطَّائِفِ.

انْظُرْ: «التَّارِيخُ الْكَبِيرُ» (٢٣٨٨)، وَ«الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ» (٢٢٣٩)، وَ«تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» (٦٤٦٥).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٥٤) (٥٩٧٦) (٦٢٧٣) (٦٢٧٤) (٦٩١٩)، وَمُسْلِمٌ (٨٧)،

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: التَّرْهيبُ الشَّدِيدُ مِنْ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَبَيَانٌ أَنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ مِنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ. (*)

وَقَدْ أَمَرَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ نَقِي أَنْفُسَنَا النَّارَ، وَوَصَفَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِبَعْضِ صِفَاتِهَا كَمَا وَصَفَ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا بِبَعْضِ صِفَاتِهِمْ، وَحَذَرَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَقِي أَنْفُسَنَا وَأَهْلِينَ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ وُرُودُ النَّارِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَادَانَا بِوَصْفِ الْإِيمَانِ؛ لِكَيْ يَكُونَ ذَلِكَ حَافِزًا لَنَا عَلَى الْإِقَاءِ سَمْعِ الْقَلْبِ لِمَا يَأْمُرُنَا بِهِ وَمَا يَنْهَانَا عَنْهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يَا مَنْ أَعْلَنْتُمْ إِيْمَانَكُمْ بِرَبِّكُمْ جَلَّ وَعَلَا، فَأَمْتُمْ بِهِ وَبِمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابٍ وَبِالرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا؛ فَاسْمَعُوا وَعُوا، وَامْتَثِلُوا أَمْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَاجْتَنِبُوا مَسَاحِطَهُ.

﴿قُورًا أَنْفُسُكُمْ﴾: اجْعَلُوا بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ وَبَيْنَ نَارِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَايَةً وَجَنَّةً، ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾: فَإِنَّكُمْ رُعَاةٌ فِيهِمْ، وَكُلُّ رَاعٍ فِي رَعِيَّةٍ هُوَ مَسْئُولٌ عَنْهَا.

وَالْتَّرْمِذِيُّ (١٩٠١) (٢٣٠١) (٣٠١٩)، مِنْ طَرِيقِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، بِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ) (ص: ١٩٤-١٩٧).

وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ^(١)، وَمَا أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ مَنْ مَكَّنَهُمْ مِنْ وَسَائِلِ الْفُسْقِ وَاللَّهْوِ وَالْفُجُورِ وَإِضَاعَةِ الْأَوْقَاتِ فِي مَعْصِيَةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَمَا سَعَى بِذَلِكَ فِي وَقَائِهِمُ النَّارَ الَّتِي وَصَفَهَا الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ بِقَوْلِهِ: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ، يُعَذِّبُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا أَهْلَ الْفُجُورِ وَالْفُسْقِ وَالْكَفْرِ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (*)

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْرِصَ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى تَنْشِئَةِ أَوْلَادِنَا كَمَا نَشَأُ أَوْلَادُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حَيْثُ تَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِاللَّهِ.

وَعَلَيْنَا أَنْ نَحْتَّ أَوْلَادِنَا عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ نَرِيطَ هَمَّهُمْ بِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ نَصْرِفَهُمْ عَنْ تَوَافِهِ الْأُمُورِ؛ لِنُسْهِمَ فِي إِنْشَاءِ الْجِيلِ الَّذِي يُعِيدُ لِلْأُمَّةِ مَجْدَهَا الْمَفْقُودَ، وَعِزَّتَهَا الْمَسْلُوبَةَ. (* / ٢).

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: (٨ / ١٤١، رقم ٨٩٣)، ومسلم في «الصحيح»: (٣ / ١٤٥٩، ١٨٢٩)، من حديث: ابنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصْرِيفِ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا!» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٠ هـ | ٤-٩-٢٠٠٩ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «نَصَائِحُ لِلْأُخْتِ الْمُسْلِمَةِ» - الْخَمِيسُ: ٤ مِنْ رَمَضَانَ

١٤٢٩ هـ | ٤-٩-٢٠٠٨ م.

أَمَّا أَنْ نَتْرَكَ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا يَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ، وَفِي مَنَابِتِ السُّوءِ، يَنْشُتُونَ عَلَى الْفَاسِدِ مِنَ الْأَخْلَاقِ، وَالذِّمَمِ مِنَ الْأَفْعَالِ، فَيَشْتَدُّ عُودُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَتَشَحُّنُ قُلُوبُهُمْ وَتَشْغَلُ بَغَيْرِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ نُرِيدُهُمْ بَعْدَ بُلُوغِهِمْ سِنَّ الرُّشْدِ مُسْلِمِينَ، يَعْمَلُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَنَا، وَلَا يُلقُونَ بِالْأَلْوَامِرِ وَحَدِيثِنَا، وَيَكُونُ مِثْلُنَا كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَجْنِيَ مِنَ الشَّوْكِ الْعَنْبَ!! وَنَقْضِي الْوَقْتَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ.

إِذَا ابْتَعَدَ شَبَابُ الْإِسْلَامِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَظَلُّوا فِي مُنْحِنَاتِ الطَّرِيقِ؛ فَالْحَقُّ أَنَّ السَّبَبَ الْأَوَّلَ عَنْ بَعْدِ الشَّيْبَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ هُمْ: الْأَبَاءُ، وَالْأُمَّهَاتُ، وَأَوْلِيَاءُ الْأُمُورِ.

وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ أَنْ يَبْحَثَ الْأَبُ لِأَبْنَائِهِ عَنْ خَيْرِ لِبَاسٍ، وَأَفْضَلِ طَعَامٍ، وَأَهْنَأِ سَكَنِ، ثُمَّ لَا يَبْحَثُ لَهُمْ عَنِ الْمُرَبِّي الْفَاضِلِ، وَلَا يُلقْنُهُمُ الصَّحِيحَ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ؛ جَاهِلًا أَوْ مُتَجَاهِلًا أَنَّهُ بِذَلِكَ يُلقِي بِفِلْذَةِ كَبِدِهِ فِي نَارٍ مُسْتَعْرَةٍ لَا يَخْبُو إَوَارَهَا، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، فَأَيْنَ الرَّحْمَةُ فِي قُلُوبِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ!!؟

وَأَيْنَ الشَّفَقَةُ!!؟

وَأَيْنَ الْحَنَانُ!!؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ وَنَكْبَةُ فَلَسْطِينِ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ

مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْمَالِ وَأَضَرِّهَا: آفَاتُ اللِّسَانِ

إِنَّ مِنْ أَسْوَأِ الْأَعْمَالِ وَأَقْبَحِهَا، وَأَضَرِّهَا عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ: آفَاتُ اللِّسَانِ، وَقَدْ نَهَى الْإِسْلَامُ عَنْهَا كُلَّهَا، وَنَفَرَ عَنْهَا، وَحَذَرَ مِنْهَا؛ وَمِنْهَا: الْكَذِبُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١).

وَالْكَذِبُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحَرَّمَاتِ؛ بَلْ هُوَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَوَعَّدَ الْكَذَّابَ بِأَنَّهُ يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا. (*)

(١) تقدم تخريجه.

وفي رواية لمسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ؛ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبِ

وَمِنْ أخطرِ آفاتِ اللِّسَانِ الَّتِي حَذَّرَ مِنْهَا وَنَهَى عَنْهَا دِينُ الْإِسْلَامِ: الْغَيْبَةُ، وَهِيَ: ذِكْرُ الْغَيْبِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ؛ سَوَاءً أَكَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ أَمْ لَمْ يَكُنْ.

فَهَكَذَا بَيَّنَّهَا الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ عَنِ الْغَيْبَةِ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ».

قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟

قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَهُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(١).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ^(٢): «وَالْغَيْبَةُ مُحَرَّمَةٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَلَا يُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا رَجَحَتْ مَصْلَحَتُهُ، كَمَا فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَالنَّصِيحَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ».

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ^(٣): «الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْكِبَائِرِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ التَّوْبَةُ مِنْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى».

وَهَذَا بَيِّنٌ وَاضِحٌ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]. (*)

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: ٤/ ٢٠٠١، رقم (٢٥٨٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم»: ٧/ ٣٨٠.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن»: ١٦/ ٣٣٧.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الْغَيْبَةُ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ جُمَادَى

الْأُولَى ١٤٣٧هـ / ١٢-٢-٢٠١٦م.

وَمِنَ الْآفَاتِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا الْإِسْلَامُ: النَّمِيمَةُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْعُضُّ؟»

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «نَقُلُ الْحَدِيثَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ؛ لِيُفْسِدُوا بَيْنَهُمْ»^(١).
الْحَدِيثُ صَحِيحٌ لِعَيْرِهِ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ الْمُشْكِلِ»، وَأَخْرَجَهُ
الْبَيْهَقِيُّ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ^(٢).

قَوْلُهُ ﷺ: «نَقُلُ الْحَدِيثَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ؛ لِيُفْسِدُوا بَيْنَهُمْ»؛
أَيُّ: لِأَجْلِ أَنْ يُفْسِدَ النَّاقِلُونَ بَيْنَ الْمَنْقُولِ إِلَيْهِمْ وَالْمَنْقُولِ عَنْهُمْ.
وَعَبَّرَ بِالْجَمْعِ إِشَارَةً لِاعْتِيَادِهِ وَاطِّرَادِهِ بَيْنَهُمْ.

فَالْمُرَادُ: التَّحْذِيرُ مِنْ نَقْلِ كَلَامِ قَوْمٍ لِآخَرِينَ؛ لِإِلْقَاءِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ
بَيْنَهُمْ، وَهِيَ النَّمِيمَةُ الَّتِي هِيَ - كَمَا قَالَ جَمْعٌ غَفِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ -: نَقْلُ الْحَدِيثِ
عَلَى وَجْهِ الْإِفْسَادِ، وَالنَّمِيمَةُ مِنَ الْكِبَائِرِ.

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»، وَ«الْقَتَاتُ»: النَّمَامُ^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» (٢٣٩٣)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (٢١١٥٩)، مِنْ
طَرِيقٍ: يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ سِنَانِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.
وَصَحَّحَهُ لِعَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٨٤٥).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٦٠٦)، مِنْ طَرِيقٍ: أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، بِهِ، بَلْفَظٍ:
«أَلَا أَنْبَأُكُمْ مَا الْعُضُّ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٥٦)، وَمُسْلِمٌ (١٠٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٧١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٠٢٦)،
مِنْ طَرِيقٍ: إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ حُذَيْفَةَ، بِهِ.

فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ مَا الْعِضَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «النَّمِيمَةُ الَّتِي تُفْسِدُ بَيْنَ النَّاسِ»^(٢).

فَهُوَ نَقْلُ الْحَدِيثِ عَلَى وَجْهِ الْإِفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ.^(*)



(١) أَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ (٢٦٠٦).

(٢) أَخْرَجَهَا الدَّارِمِيُّ (٢٧٥٧)، مِنْ طَرِيقِ: إِدْرِيسَ الْأَوْدِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، بِهِ.

وَأَخْرَجَهَا الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٧٨٧١)، وَفِي «الْكَبِيرِ» (٨٥٢٢)، مِنْ طَرِيقِ: إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادٍ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، بِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: الْمُسْتَبَانَ مَا قَالَا فَعَلَى الْأَوَّلِ) [ص: ١٨٨٩-١٨٩٢].

مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُسْتَهَانُ بِهَا: السَّبُّ وَاللَّعْنُ وَالْبَذَاءُ

مِنْ أَفَاتِ اللِّسَانِ الَّتِي حَرَّمَهَا دِينُ الْإِسْلَامِ: السَّبُّ وَاللَّعْنُ، وَالْبَذَاءُ،
وَالْهَجْرُ مِنَ الْقَوْلِ؛ فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ»^(١). الْحَدِيثُ صَحِيحٌ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ،
وَابْنُ مَاجَهَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» (٨٨ / ١) (٢٤٦)، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ فِي
«تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ» (١٠٩٩)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» (٨٤٤)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي
«الدُّعَاءِ» (٢٠٣٩)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١٨٨ / ٤) (١٣٨٣)، مِنْ طَرِيقِ:
زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٣٩٤١)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (٢٠٣٩)، مِنْ طَرِيقِ: شَرِيكَ.
وَأَخْرَجَهُ الْبَزَارُ (١ / ٤)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (٢٠٣٩)، مِنْ طَرِيقِ: عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ.
وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (٣٥٥٤)، وَاللَّكَاثِيُّ فِي «شَرْحِ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ»
(١٨٩٠)، مِنْ طَرِيقِ: إِسْرَائِيلَ.

وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (٢٠٣٩)، وَفِي «الْكَبِيرِ» (٣٢٥)، مِنْ طَرِيقِ: رَوْحِ ابْنِ
مُسَافِرٍ.

وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (٢٠٣٩)، مِنْ طَرِيقِ: زُهَيْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

«السَّبَابُ»: أَشَدُّ مِنَ السَّبِّ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ فِي الرَّجُلِ مَا فِيهِ وَمَا لَيْسَ فِيهِ، يُرِيدُ بِذَلِكَ عَيْبَهُ.

و«السَّبُّ»: أَصْلُهُ الْقَطْعُ، فَهُوَ قَطْعُ الْمَسْبُوبِ، «فُسُوقٌ»: «الْفُسُوقُ»: الْخُرُوجُ عَنِ الْأَمْرِ الْمَحْمُودِ إِلَى الْأَمْرِ الْمَذْمُومِ.

وَالْفُسُوقُ فِي اللُّغَةِ: الْخُرُوجُ، وَفِي الشَّرْعِ: الْخُرُوجُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَهُوَ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ أَشَدُّ مِنَ الْعِصْيَانِ.

فِي الْحَدِيثِ: تَعْظِيمُ حَقِّ الْمُسْلِمِ، وَالْحُكْمُ عَلَى مَنْ سَبَّهُ بِغَيْرِ حَقٍّ بِالْفُسُوقِ. (*)

=

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ» (٩٨٩)، مِنْ طَرِيقِ: عَيْسَى بْنِ زَكَرِيَّا. سَبَعْتُهُمْ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ، بِهِ. وَهُوَ الصَّوَابُ.

وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٤١٠٤)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ (٢٠٢٢٤)، وَأَحْمَدُ (١٥١٩)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١٣٨)، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ (١٠٩٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «السُّنَّةِ» (١٤٤٦)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» (٨٤٥)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (٢٠٤٠)، وَفِي «الْكَبِيرِ» (٣٢٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٦١٩٨)، مِنْ طَرِيقِ: مَعْمَرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، بِهِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» (٨٨ / ١): «وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ».

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٢٩٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ)

[ص: ١٩٠٨-١٩١٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

قَوْلُهُ صلی الله علیه و آله: «وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»: بِمَعْنَى: كُفْرَانِ النِّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ، أَوْ: أَنَّهُ فَعَلَ فَعَلٌ الْكَفَرَةَ؛ فَقِتَالُ الْمُسْلِمِ فَعْلُ الْكَفَرَةِ؛ أَوْ: أَرَادَ بِهِ التَّغْلِيظَ وَالتَّشْدِيدَ فِي الْوَعِيدِ.

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «لَمْ يُرَدْ حَقِيقَةُ الْكُفْرِ الَّتِي هِيَ الْخُرُوجُ عَنِ الْمِلَّةِ، بَلْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الْكُفْرَ مُبَالَغَةً فِي التَّحْذِيرِ، مُعْتَمِدًا عَلَى مَا تَقَرَّرَ مِنَ الْقَوَاعِدِ: أَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لَا يُخْرِجُ عَنِ الْمِلَّةِ؛ كَحَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]»^(٢).

«سَبَابُ الْمُسْلِمِ»: سَبُّهُ وَشَتْمُهُ، وَالتَّكْلُمُ فِي عَرَضِهِ بِمَا يَعْيْبُهُ، وَهُوَ: الشَّتْمُ الْوَجِيعُ.

و«الْفِسْقُ»: التَّرْكُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمِيلُ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، فَيَحْرُمُ سَبُّ الْمُسْلِمِ لِغَيْرِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ.

مِنْ الْأَلْفَاظِ الْمَذْمُومَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عَادَةً: قَوْلُ الرَّجُلِ لِمَنْ يُخَاصِمُهُ: (حِمَارٌ)، وَ(كَلْبٌ)، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨) (٦٠٤٤) (٧٠٧٦)، وَمُسْلِمٌ (٦٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٨٣)

(٢٦٣٥)، وَالنَّسَائِيُّ (٤١٠٩) (٤١١٠) (٤١١١) (٤١١٢) (٤١١٣)، وَابْنُ مَاجَهَ (٦٩)

(٣٩٣٩)، مِنْ طَرِيقِ: شَقِيقِ بْنِ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، بِهِ.

(٢) «فَتْحُ الْبَارِي» (١/ ١١٢).

فَهَذَا قَبِيحٌ، وَهُوَ كَذِبٌ وَإِيذَاءٌ، بِخِلَافِ مَا لَوْ قَالَ لَهُ: يَا ظَالِمُ، أَوْ يَا جَائِرُ، فَقَدْ يُتَسَامَحُ فِي ذَلِكَ أحيانًا؛ لِضَرُورَةِ الْمُخَاصَمَةِ، وَهُوَ صِدْقٌ غَالِبًا؛ فَمَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَهُوَ ظَالِمٌ وَجَائِرٌ، وَقَلَّ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ أَوْ لِغَيْرِهَا.

«وَقَاتِلُهُ كُفْرًا»: «الْقِتَالُ»: مُحَارَبَتُهُ لِأَجْلِ الْإِسْلَامِ هُنَا، أَوْ: هُوَ اعْتِقَادُ حِلِّ قَتْلِهِ، وَقَاتَلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ لَا يَكْفُرُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ كُفْرًا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الْمِلَّةِ، وَأَمَّا الْمُسْتَحِلُّ لِدَمِ الْمُسْلِمِ؛ فَهَذَا كَافِرٌ.

لَمَّا كَانَ الْقِتَالُ أَشَدَّ مِنَ السَّبِّ لِأَنَّهُ مُفْضٍ إِلَى إِزْهَاقِ الرُّوحِ؛ عَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظٍ أَشَدَّ مِنْ لَفْظِ الْفِسْقِ، وَهُوَ الْكُفْرُ، وَلَمْ يُرَدْ حَقِيقَةُ الْكُفْرِ الَّتِي هِيَ الْخُرُوجُ عَنِ الْمِلَّةِ، بَلْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الْكُفْرَ مُبَالِغَةً فِي التَّحْذِيرِ، مُعْتَمِدًا عَلَى مَا تَقَرَّرَ مِنَ الْقَوَاعِدِ؛ أَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لَا يُخْرَجُ مِنَ الْمِلَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١).

فِي الْحَدِيثِ: تَعْظِيمُ حَقِّ الْمُسْلِمِ، وَالْحُكْمُ عَلَى مَنْ سَبَّ مُسْلِمًا بِالْفِسْقِ. (*).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٢١) (٤٤٠٥) (٦٨٦٩) (٧٠٨٠)، وَمُسْلِمٌ (٦٥)، وَالنَّسَائِيُّ (٤١٣١)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٩٤٢)، مِنْ طَرِيقٍ: شُعْبَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ جَرِيرٍ، بِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاحْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ)

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ» ^(١). أَخْرَجَهُ فِي «الصَّحِيحِ».

وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ قَالَ لِلْآخِرِ: يَا فَاسِقُ، أَوْ قَالَ لَهُ: أَنْتَ كَافِرٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَمَا قَالَ؛ كَانَ الْقَائِلُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْوَصْفِ الْمَذْكُورِ، وَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ؛ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ؛ لَكِنَّهُ يَكُونُ آثِمًا فِي صُورَةِ قَوْلِهِ لَهُ: يَا فَاسِقُ.

وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ تَفْصِيلٌ:

إِنْ قَصَدَ نُصَحَهُ، أَوْ قَصَدَ نُصَحَ غَيْرِهِ بِهِ بَيَّانِ حَالِهِ؛ جَازَ، وَإِنْ قَصَدَ تَعْيِيرَهُ وَشُهْرَتَهُ بِذَلِكَ، وَقَصَدَ مَحْضَ أَذَاهُ؛ لَمْ يَجْزُ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالسَّتْرِ، مَأْمُورٌ بِتَعْلِيمِهِ وَعِظَتِهِ بِالْحُسْنَى، فَمَهْمَا أَمَكْنَهُ ذَلِكَ بِالرَّفْقِ؛ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَفْعَلَهُ بِالْعُنْفِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِإِغْرَائِهِ وَإِضْرَارِهِ عَلَى ذَلِكَ الْفِسْقِ، كَمَا فِي طَبَعِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْآثَفَةِ؛ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْأَمْرُ دُونَ الْمَأْمُورِ فِي الْمَنْزِلَةِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَغْلَظَ لَهُ فِي الْكَلَامِ؛ لَجَّ هُوَ فِي طُغْيَانِهِ وَفُسُوقِهِ، فَحَتَّى وَلَوْ كَانَ فَاسِقًا؛ وَلَكِنْ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَشْتَفِيَ بِوَصْفِهِ، فَيَقُولُ: هُوَ فَاسِقٌ؛ لَا يَجُوزُ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْحَظَ قَصْدَهُ، وَأَنْ يُرَاقِبَ نِيَّتَهُ.

وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ كَانَ جَالِسًا فِي جَوْفِ دَارِهِ، وَكَانَ وَلَدُهُ جَالِسًا عَلَى بَابِ الدَّارِ، فَسَمِعَ وَلَدُهُ يَقُولُ: اخْسَأْ كَلْبٌ بَنَ كَلْبٍ، فَقَالَ لَهُ: مَهْمِمْ!!؟

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٠٨) (٦٠٤٥)، وَمُسْلِمٌ (٦١)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٣١٩)، مِنْ طَرِيقِ:

يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، بِهِ.

فَقَالَ: يَا أَبَتِ! إِنَّمَا هُوَ كَلْبٌ فَزَجَرْتُهُ.

فَقَالَ: إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَا عَلَى سَبِيلِ التَّنْقِصِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ كَلْبًا.
فَالْمُسْلِمُ عَفُّ اللِّسَانِ، لَا يَلْغُ لِسَانُهُ فِي الْقَاذُورَاتِ؛ فَذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْكِلَابِ
وَالْخَنَازِيرِ.

الْمُسْلِمُ يَعْفُ لِسَانُهُ عَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ الْعَوْرَاءِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ
لِذَلِكَ؛ حَتَّى لَا يَعْتَادَ لِسَانُهُ الْهَجَرَ مِنَ الْقَوْلِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَلْحُوظٌ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا
انْفَلَتَ لِسَانُهُ؛ فَقَلَّمَا يَسْتَطِيعُ بَعْدُ - إِلَّا إِذَا مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمَنْتِهِ - أَنْ يَجْمَعَ عَلَى نَفْسِهِ
نِظَافَةَ لِسَانِهِ.

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُعَوِّدَ لِسَانَهُ الْحَسْنَ مِنَ الْكَلَامِ، وَأَلَّا يُعَوِّدَ لِسَانَهُ الْهَجَرَ
مِنْهُ. (*)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي؛ مَا لَمْ
يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ» (٢). أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ».

«الْمُسْتَبَّانِ»: اللَّذَانِ يَتَشَاتَمَانِ فِيمَا بَيْنَهُمَا؛ أَيُّ: يَشْتُمُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصْرِيفٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ)
[ص: ١٩٢٨-١٩٣١].

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٨٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٩٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٨١)، مِنْ طَرِيقِ:
الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِهِ.

«مَا قَالَا»؛ أَي: الَّذِي قَالَ كُلُّ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ، «مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»؛ أَي: مَا لَمْ يَتَجَاوَزْ قَدْرَ الْإِنْتِصَارِ.

فَإِذَا تَجَاوَزَ؛ لِحَقِّهِ مِنَ الْإِثْمِ بِقَدْرِ تَجَاوُزِهِ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَعْتَدِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزْ قَدْرَ الْإِنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ؛ فَالْإِثْمُ عَلَى الْأَوَّلِ مِنْهُمَا.

«فَعَلَى الْبَادِي»: فَالْبَادِي يُسْتَحَقُّ الْإِثْمُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبًا لِتِلْكَ الْمُخَاصَمَةِ.

وَإِذَا تَجَاوَزَ الْمَسْبُوبُ عَنْ شَتْمِ الْبَادِي وَإِذَائِهِ؛ فَلَا يَكُونُ الْإِثْمُ عَلَى الْبَادِي فَقَطْ، بَلْ يَكُونُ الْآخَرُ أَيْضًا بِاعْتِدَائِهِ؛ بَلْ رُبَّمَا كَانَ أَكْثَرُ إِنَّمَا مِنَ الْمُبْتَدِي.

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُرَاقِبَ رَبَّهُ، وَأَنْ يَتَحَرَّى الْعَدْلَ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ؛ حَتَّى لَا يَتَوَرَّطَ فِي إِثْمٍ يَقْتَرِفُهُ.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ سَبَّ كُلِّ وَاحِدٍ الْآخَرَ؛ فَإِثْمٌ مَا قَالَا عَلَى الَّذِي بَدَأَ فِي السَّبِّ وَالشَّتْمِ - هَذَا إِذَا لَمْ يَتَعَدَّ وَلَمْ يَتَجَاوَزِ الْمَظْلُومُ الْحَدَّ -.

وَمَعْنَاهُ: أَنَّ إِثْمَ السَّبَابِ الْوَاقِعِ مِنْ اثْنَيْنِ مُخْتَصٌّ بِالْبَادِي مِنْهُمَا كُلُّهُ؛ إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ الثَّانِي قَدْرَ الْإِنْتِصَارِ، فَيَقُولَ لِلْبَادِي أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ لَهُ.

فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ سَبَابَ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ حَرَامٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ».

لَا يَجُوزُ لِلْمَسْبُوبِ أَنْ يَنْتَصِرَ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَبَّهُ؛ مَا لَمْ يَكُنْ كَذِبًا، أَوْ قَذْفًا، أَوْ سَبًّا لِأَسْلَافِهِ؛ لِأَنَّهُ مَا لَمْ يَجْنِ عَلَيْهِ.

فَمِنْ صُورِ الْمُبَاحِ: أَنْ يَنْتَصِرَ بِ«يَا ظَالِمُ»، أَوْ «يَا جَافِي»، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يَنْفَكُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ.

قَالُوا: وَإِذَا انْتَصَرَ الْمَسْبُوبُ اسْتَوْفَى ظُلَامَتَهُ، وَبَرِيَ الْأَوَّلُ مِنْ حَقِّهِ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ إِثْمُ الْإِبْتِدَاءِ، أَوْ بَقِيَ عَلَيْهِ الْإِثْمُ الْمُسْتَحَقُّ لِلَّهِ تَعَالَى.

الْعَدَاءُ فِي الرَّدِّ وَالتَّجَاوُزِ فِيهِ قَدْ يَكُونُ بِالتَّكْرَارِ؛ كَأَنْ يَقُولَ الْبَادِي لَهُ -أَعَزَّكُمْ اللَّهُ-: يَا كَلْبُ! فَيَرُدُّ عَلَيْهِ هَذَا الْقَوْلَ مَرَّتَيْنِ، أَوْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ بِأَفْحَشَ مِمَّا قِيلَ لَهُ، كَمَا لَوْ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَلْبٌ، أَوْ نَادَاهُ بِذَلِكَ، فَنَادَاهُ الْآخِرُ بِأَنَّهُ حَنْزِيرٌ؛ فَهَذَا تَعَدَّى قَدْ تَجَاوَزَ بِهِ حَدَّهُ، وَكَذَلِكَ لَوْ سَبَّهُ أَحَدٌ فَسَبَّ هُوَ أَبَاءَهُ.

وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْتِصَارِ فِي شَيْءٍ؛ لِأَنَّ الْإِنْتِصَارَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْقَصَاصِ، وَالْقَصَاصُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمِثْلِ؛ ﴿وَحَزَوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا﴾ [النحل: ١٢٦]، فَإِذَا تَجَاوَزَ فَقَدْ تَعَدَّى وَأَسَاءَ وَظَلَمَ.

وَهَذَا الْأَمْرُ قَدْ لَا يَنْضَبُطُ، وَعَلَيْهِ؛ فَالْصَّفْحُ أَوْلَى، وَأَنْ يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ الْحَقُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَذَا أَعْلَى وَأَجَلٌ (*).

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الرَّجُلُ يَسُبُّنِي؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذِبَانِ» (٢). وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْأَوَّلِ) [ص: ١٨٨٢-١٨٨٦].

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (١١٧٦)، وَأَحْمَدُ (١٧٤٨٧) (١٨٣٣٧)، وَالْبَزَّازُ (٣٤٩٣)، وَالتَّطَبَّرَانِي فِي «الْأَوْسَطِ» (٢٥٢٦)، وَفِي «الْكَبِيرِ» (١٠٠٢) (١٠٠٣) (١٠٠٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعَبِ» (٦٢٣٩)، مِنْ طَرِيقٍ: قَتَادَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ عِيَاضٍ، بِهِ.

«الْمُسْتَبَانَ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ»؛ أَي: يَتَقَابَحَانِ فِي الْقَوْلِ، أَوْ يَدَّعِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَاطِلًا عَلَى صَاحِبِهِ، وَأَمَّا الْمُسْتَهْتَرُ؛ فَهُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي مَا قِيلَ فِيهِ وَمَا شَتَمُوهُ بِهِ.

فِي الْحَدِيثِ: النَّهْيُ عَنِ التَّشَاتُمِ، وَعَنِ التَّقَاطُعِ، وَعَنِ التَّنَابُذِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِكَيْ يَكُونُوا إِخْوَانًا فِي اللَّهِ مُتَحَابِّينَ. (*)

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا، وَلَا لَعَانًا، وَلَا سَبَابًا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: «مَا لَهُ تَرَبَّ جَبِينُهُ»؟ (٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ رحمه الله فِي «الصَّحِيحِ».

قَوْلُهُ: «تَرَبَّ جَبِينُهُ»؛ أَي: سَقَطَ لِلتُّرَابِ.

وَقِيلَ: هِيَ كَلِمَةٌ جَرَتْ عَلَى لِسَانِ الْعَرَبِ، لَا يُرِيدُونَ بِهَا الدُّعَاءَ عَلَى الْمُخَاطَبِ، وَإِنَّمَا كَلِمَةٌ تَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مَعْنَاهَا، كَمَا اعْتَادَ الْعَرَبُ أَنْ يَقُولُوا: «مَا لَهُ قَاتَلَهُ اللَّهُ»؟ وَلَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ دُعَاءَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ تَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ.

=

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٣٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصْرُفٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: الْمُسْتَبَانَ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَادِبَانِ) [ص: ١٨٨٩-١٩٠٠].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٣١) (٦٠٤٦)، مِنْ طَرِيقِ: فُلَيْحِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أُسَامَةَ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.

فَكَذَلِكَ «تَرَبَّ جَسَدُهُ»: هَلْ هِيَ دُعَائِيَّةٌ؟

هَذَا قَوْلٌ؛ أَيُّ: سَقَطَ لِلتُّرَابِ عَلَى وَجْهِهِ.

أَوْ هِيَ دُعَائِيَّةٌ بِمَعْنَى: الدُّعَاءُ لَهُ؛ أَيُّ: سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ لِلْعِبَادَةِ لِلَّهِ -تَعَالَى- سَاجِدًا، بِأَنْ يَكُونَ لِلَّهِ مُصَلِّيًا.

عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ؛ أَيُّ: عِنْدَ الْمَوْجِدَةِ وَالْغَضَبِ.

قَوْلُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا كَانَ فَاحِشًا»:

«الْفَاحِشُ»: ذُو الْفُحْشِ فِي الْكَلَامِ وَالْفِعَالِ، وَهُوَ كُلُّ مَا يَشْتَدُّ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

وَتَرَدُّ الْفَاحِشَةُ بِمَعْنَى الزَّنا، وَكُلُّ خَصْلَةٍ قَبِيحَةٍ فَهِيَ فَاحِشَةٌ؛ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

قَوْلُهُ: «وَلَا سَبَابًا»: «السَّبُّ»: الشَّتْمُ.

قَوْلُهُ: «لَمْ يَكُنْ لَعَانًا، وَلَا سَبَابًا»: لَا يُرَادُ نَفْيُ صِغَةِ الْمُبَالَغَةِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: النَّفْيُ الْمُطْلَقُ؛ لِأَنَّ الْمُبَالَغَةَ إِذَا نُفِيَتْ عَلَى الْجَارِي فِي أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ؛ فَإِنَّهَا تُثَبِّتُ الْأَصْلَ، فَإِذَا قِيلَ: فُلَانٌ لَيْسَ بِسَبَابٍ، قَدْ يَكُونُ سَابًّا؛ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِسَبَابٍ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ بَعْضُ النِّسْوَةِ حَاضِرَاتٍ عِنْدَهُ يَسْأَلْنَهُ وَيُجَادِلْنَهُ، وَقَدْ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُنَّ، فَاسْتَأْذَنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا سَمِعَنَ صَوْتَ عُمَرَ؛ ابْتَدَرْنَ

الْحِجَابَ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُبْتَسِمًا، فَقَالَ:
أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَا هُنَاكَ؟

فَقَالَ: «عَجِبْتُ لَهُؤُلَاءِ! كُنَّ يُخَاطِبُنِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ
الْحِجَابَ».

فَقَالَ عُمَرُ -بِحَيْثُ يَسْمَعْنَ-: أَتَهَنِّي مَا لَا تَهَبْنِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ!!
فَقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٩٤) (٣٦٨٣) (٦٠٨٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٩٦)، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ
شَهَابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ
سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ:
«اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَ، عَالِيَةً
أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ
يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: «أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ».
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ
الْحِجَابَ».

فَقَالَ عُمَرُ: «فَأَنْتَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ».
ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عُدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَنِّي وَلَا تَهَبْنِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟!».
قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفْظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ
فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ يُثْبِتُ أَصْلَ الصِّفَةِ، فَأَنْتَ تَقُولُ: فُلَانٌ أَطُولُ مِنْ فُلَانٍ، فَتُثْبِتُ أَصْلَ الصِّفَةِ، تَقُولُ: فُلَانٌ أَفْظُ مِنْ فُلَانٍ، فَتُثْبِتُ أَصْلَ الصِّفَةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِيمَا قُلْنَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- نَفَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْفُظَاظَةَ وَالْغِلْظَةَ أَلْبَتَةً، فَلَيْسَ بِفُظٍّ وَلَا بِغِلْظٍ الْقَلْبُ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فُظًّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٠٩].

فَأَفْعَلُ التَّفْضِيلِ هُنَا لَيْسَ عَلَى بَابِهِ.

وَكَذَلِكَ صِيغَةُ الْمُبَالَغَةِ قَدْ لَا تَكُونُ عَلَى بَابِهَا كَمَا مَعَنَا.

فَلَمْ يَكُنْ ﷺ فَاحِشًا، وَلَا لَعَانًا، وَلَا سَبَابًا، فَهَذَا نَفْيٌ لِأَصْلِ الصِّفَةِ، فَالْمُرَادُ هُنَا: النَّفْيُ الْمُطْلَقُ. (*)

وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَاهَا فَقَالَ: «إِنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْكَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ». فَقَالَتْ: «إِنْ نُوْبِنَ بِمَا لَيْسَ فِينَا؛ فَطَالَمَا زُكِّنَا بِمَا لَيْسَ فِينَا» (٢). وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«إِنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْكَ»؛ أَي: اغْتَابَكَ، وَذَكَرَكَ بِالْعُيُوبِ وَالتَّقَائِصِ.

قَوْلُهَا: «إِنْ نُوْبِنَ»: الْأُبْنُ: الْإِتِّهَامُ وَالذِّكْرُ بِالْعَيْبِ.

«فَطَالَمَا زُكِّنَا»: أَي: أَثْنَى النَّاسُ عَلَيْنَا بِمَا لَيْسَ فِينَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ) [ص: ١٩١١-١٩١٥].

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَبَّانٍ فِي «رَوْضَةِ الْعُقَلَاءِ وَنَزْهَةِ الْفُضَلَاءِ» (١/ ١٧٨)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٧٠/ ١٦١)، مِنْ طَرِيقِ: إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عُلبَةَ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، بِهِ. وَحَسَّنَ الْإِسْنَادَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٢٣).

قَوْلُهَا: «إِنْ نُؤْبِنَ بِمَا لَيْسَ فِينَا، فَطَالَمَا زُكِّينَا بِمَا لَيْسَ فِينَا»: فَكَأَنَّهُا تَقُولُ: هَذِهِ بَيْتُكَ.. «فَطَالَمَا زُكِّينَا بِمَا لَيْسَ فِينَا»: أَيُّ: وَصِفْنَا وَأُثْنِي عَلَيْنَا بِمَا لَا نَتَحَلَّى بِهِ وَلَا نَتَّصِفُ بِهِ.

لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نَتَحَمَّلَ مَا تُرْمَى بِهِ مِنْ أَتْهَامٍ، وَنُذَكِّرَ بِهِ مَنْ عَيْبٍ، وَنُوصِفَ بِهِ مَنْ ذَمِيمٍ الْأَخْلَاقِ مِمَّا لَيْسَ فِينَا؛ فَكَثِيرًا مَا وَصِفْنَا وَأُثْنِي عَلَيْنَا بِمَا لَيْسَ فِينَا مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ، وَالصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى احْتِمَالِ الْأَذَى، وَالْعَفْوُ وَالتَّوَاضُّعُ، وَعَدَمُ حُبِّ الثَّنَاءِ، وَاسْتِثْوَاءُ مَدْحِ النَّاسِ وَذَمِّهِمْ - وَهِيَ أَمَارَةُ الْإِخْلَاصِ - (*).

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرْدٍ -رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ- قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ».

فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، قَالَ: أَتَرَى بِي بَأْسًا؟! أَمْجُنُونُ أَنَا؟! اذْهَبْ (٢).
وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: السَّبَابِ) [ص: ١٨٨٢-١٨٨٦].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٨٢) (٦٠٤٨) (٦١١٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦١٠)، وَابُو دَاوُدَ (٤٧٨١)، مِنْ طَرِيقٍ: الْأَعْمَشُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرْدٍ، بِهِ.

قَوْلُهُ: «اسْتَبَّ»: افْتِعَالَ مِنَ السَّبِّ؛ أَي: شَتَمَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.

قَوْلُهُ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً»: الْكَلِمَةُ هَاهُنَا بِالْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ، لَا بِالْمَعْنَى النَّحْوِيَّةِ، وَهِيَ: الْجُمْلَةُ الْمُفِيدَةُ الَّتِي تُفِيدُ فَائِدَةً يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَيْهَا.

قَوْلُهُ: «لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ»؛ أَي: لَزَالَ عَنْهُ مَا يَجِدُ مِنَ الْغَضَبِ وَالْمَوْجِدَةِ، وَغَلَيَانَ الدَّمِ فِي عُرْوَقِهِ.

قَوْلُهُ: «فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ»؛ أَي: الَّذِي سَمِعَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ.

قَالَ: «أَتَرَى بِي بَأْسًا»؟!؟! أَي: أَتَظُنُّ بِي بَأْسًا؟!؟! وَقَالَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ.

قَالَ: «أَمَجْنُونُ أَنَا»؟!؟! أَتَرَى أَنَّ بِي مَرَضًا عَقْلِيًّا؟!؟!

قَوْلُهُ ﷺ: «تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»: هَذَا مِنْ بَابَةِ قَوْلِ رَبَّنَا: ﴿وَلِئَامًا يَنْزَغْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

قَالَ: «أَتَرَى بِي بَأْسًا»؟!؟! وَكَذَلِكَ «أَتَرَى» أَتَظُنُّ؟!!

قَوْلُ هَذَا الرَّجُلِ: «أَتَرَى بِي مِنْ جَنَّةٍ؟!»: وَهُوَ كَلَامٌ مَنْ لَمْ يَفْقَهْ فِي دِينِ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَلَمْ يَتَهَذَّبْ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ الْمُكْرَمَةِ، وَتَوَهَّمَ أَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالْمَجْنُونِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْغَضَبَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ؛ وَلِهَذَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنِ اعْتِدَالِ حَالِهِ، فَيَتَكَلَّمُ بِالْبَاطِلِ، وَيَفْعَلُ الْمَذْمُومَ، وَحَتَّى يَنْوِي الْحَقْدَ وَالْبُغْضَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقَبَائِحِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى الْغَضَبِ، وَهِيَ جَمْرَةٌ مِثْلُهَا مِنَ النَّارِ كَأَنَّمَا تَجْرِي فِي عُرْوَقِهِ، فَإِذَا اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ أَطْفَأَ اللَّهُ تِلْكَ النَّارَ.

وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي.

قَالَ: «لَا تَغْضَبْ».

قَالَ: أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»^(١). فَلَمْ يَزِدْهُ فِي الْوَصِيَّةِ عَلَى «لَا تَغْضَبْ».

وَهَلْ تَسْتَطِيعُ؟!

هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى مِرَانٍ شَدِيدٍ، وَكَبْحٍ لِمَمَامِ النَّفْسِ عَنْ أَنْ تَخْلَصَ إِلَى شَهَوَاتِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ النَّفْسِ السَّعْيِيَّةِ، وَالنَّفْسِ فِيهَا لَوْنٌ افْتِرَاسٍ لِلْآخَرِينَ، وَلَوْنٌ اعْتِدَاءٍ عَلَيْهِمْ.

فَالْإِنْسَانُ إِذَا مَا أَحَسَّ الْغَضَبَ؛ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلرَّجُلِ لَمَّا طَلَبَ الْوَصِيَّةَ: «لَا تَغْضَبْ»، وَكَرَّرَهَا مِرَارًا.

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى عَظِيمِ مَفْسَدَةِ الْغَضَبِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا غَضِبَ؛ صَارَ فِي قَبْضَةِ الشَّيْطَانِ كَالْكُرَةِ فِي أَرْجُلِ الصَّبِيَّانِ، يَتَقَاذِفُونَهَا هَاهُنَا وَهُنَا لِكَ مِنْ غَيْرِ مَا ضَبْطٍ لَهَا وَلَا تَحَرٍّ، فَكَذَلِكَ إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَلَعَّبُ بِهِ كَيْفَ شَاءَ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: بَيَانٌ أَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ -تَعَالَى- مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ تُزِيلُ وَهَجَ الْغَضَبِ، وَتُخَمِّدُ ثَوْرَانَ الدَّمِّ، كَمَا قَالَ ﷺ: «لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَحِدُّ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦١١٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٠٢٠)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -تَعْلِيْقًا عَلَى قَوْلِ الرَّجُلِ -: «أَمَجْنُونُ أَنَا؟!» : «وَأَخْلَقَ
لِهَذَا الْمَأْمُورِ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا، أَوْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْغَضَبُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِّ
الْإِعْتِدَالِ، وَقَدْ يَكُونُ الْأَوَّلُ أَرْجَحَ؛ لِأَنَّهُ رَفَضَ نَصَحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (١).

وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ تَبَادُلِ السَّبِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ مِنْ مَكْرِ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ، وَتَحْرِيشِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا دَلَّ أَيْضًا عَلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ
لِلْمُتَخَاصِمِينَ مِمَّنْ هُمْ أَهْلٌ لِلنَّصِيحَةِ.

وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى دَوَاءِ الْغَضَبِ، أَلَّا وَهُوَ الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.
وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ الْحَقُّ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَرَفَضَهُ بَعْدَمَا
تَبَيَّنَ؛ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِحَاطَرٍ عَظِيمٍ.

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ الْحِلْمِ وَالسَّكِينَةِ.
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْوَهَّابُ الْكَرِيمُ. (*)



(١) «فتح الباري» (١٠ / ٤٦٧)، بلفظ: «وَأَخْلَقَ بِهَذَا الْمَأْمُورِ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا أَوْ
كَانَ غَلَبَ عَلَيْهِ الْغَضَبُ حَتَّى أَخْرَجَهُ عَنِ الْإِعْتِدَالِ بِحَيْثُ زَجَرَ النَّاصِحَ الَّذِي دَلَّهُ عَلَى مَا
يُزِيلُ عَنْهُ مَا كَانَ بِهِ مِنْ وَهَجِ الْغَضَبِ بِهَذَا الْجَوَابِ السَّيِّئِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ)

ثَمَرَاتُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَعَوَاقِبُ الْعَمَلِ السَّيِّئِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ يَقُومُ بِهِ الْعَبْدُ أَثَرَهُ الَّتِي تَعُودُ عَلَى صَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا مَبْنِيًّا عَلَى قَاعِدَةٍ إِيْمَانِيَّةٍ صَحِيحَةٍ؛ يَعُودُ نَفْعُ إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا سَيِّئًا بِاخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ؛ فَضَرَرُ إِسَاءَتِهِ يَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ أَيْضًا، وَمَا رَبُّكَ -يَا رَسُولَ اللَّهِ- يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ، بَلْ هُمْ الظَّالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ؛ إِذِ ارْتَكَبُوا السَّيِّئَاتِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُعَاقَبُونَ عَلَيْهَا ضِمْنَ قَانُونِ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ.

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا؛ فَفَنَعُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ عَائِدٌ إِلَيْهِ، فَاللَّهُ لَا يَنْفَعُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنْ أَحَدٍ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا سَيِّئًا؛ فَضَرَرُ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ، فَاللَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَيُجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ، وَمَا رَبُّكَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- بِظَلَّامٍ لِعَبِيدِهِ، فَلَنْ يَنْقُصَهُمْ حَسَنَةً، وَلَنْ يَزِيدَهُمْ سَيِّئَةً. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [فصلت: ٤٦].

الْعَمَلُ الصَّالِحُ لَهُ ثَمَرَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْهَا:

* **الِاسْتِخْلَافُ فِي الْأَرْضِ، وَالنَّصْرُ، وَالتَّمَكُّنُ،** قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا مِنْ وُعُودِهِ الصَّادِقَةِ الَّتِي شُوهِدَتْ تَأْوِيلُهَا، وَعُرِفَ مَخْبَرُهَا؛ فَإِنَّهُ وَعَدَ مَنْ قَامَ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ، يَكُونُونَ هُمُ الْخُلَفَاءُ فِي الْأَرْضِ، وَيَكُونُونَ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي تَدْبِيرِهَا.

وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي فَاقَ الْأَدْيَانَ كُلَّهَا، ارْتَضَاهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِفَضْلِهَا وَشَرَفِهَا.

وَنِعْمَتُهُ عَلَيْهَا بِأَنْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ إِقَامَتِهِ، وَإِقَامَةِ شَرَائِعِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ؛ لِكُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ وَسَائِرِ الْكُفَّارِ مَغْلُوبِينَ ذَلِيلِينَ.

وَأَنَّهُ يُبَدِّلُهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمُ الَّذِي كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَا يَتِمَكَّنُ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَذَى كَثِيرٍ مِنَ الْكُفَّارِ، وَكَوْنِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلِينَ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَقَدْ رَمَاهُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَبَغَوْا لَهُمْ الْغَوَائِلَ، فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمُورَ وَقْتَ نَزُولِ الْآيَةِ، وَهِيَ لَمْ تُشَاهِدِ الْإِسْتِخْلَافَ

فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمَكُّينَ فِيهَا، وَالتَّمَكُّينَ مِنَ إِقَامَةِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَالْأَمْنَ التَّامَّ؛
بِحَيْثُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا اللَّهَ.

فَقَامَ صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ بِمَا يَفُوقُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ،
فَمَكَّنَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَفُتِحَتْ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، وَحَصَلَ الْأَمْنُ
التَّامُّ وَالتَّمَكُّينُ التَّامُّ.

حَتَّى وَقَفَ وَاقِفُهُمْ مِنْ مُجَاهِدِيهِمْ عَلَى فَرَسِهِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ
يُخَاطَبُ أَمْوَاجَهُ، وَيُنَاجِي مَا هُنَالِكَ مِنْ مِيَاهِهِ، وَيَقُولُ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّ
وَرَاءَكَ - أَيُّهَا الْبَحْرُ - قَوْمًا لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ؛ لَخُضْتُكَ عَلَى مَتْنِ فَرَسِي هَذَا،
وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَشْهَدُوا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَتَّى يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ.

«هَذَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَجِيبَةِ الْبَاهِرَةِ، وَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، مَهْمَا
قَامُوا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ». (*)

* وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ: طَيِّبُ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنَّا لَوْ سَأَلْنَا أَيَّ مُسْلِمٍ
عَنْ غَايَتِهِ لَقَالَ: إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعِيشَ سَعِيدًا، وَأَنْ يَمُوتَ حَمِيدًا، وَأَنْ يُبْعَثَ آمِنًا.

فَهَذِهِ غَايَةُ شَرِيفَةٍ، وَمَقْصِدُ كَرِيمٍ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ مُسْلِمَانٍ؛ وَلَكِنَّكَ إِنْ
سَأَلْتَ: «مَا الْوَسِيلَةُ؟»؛ تَبَايَنْتِ الْأَرَءَاءُ، وَتَدَاخَلَتِ الْأَهْوَاءُ!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٣ هـ | ٢٢-٦ -

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَكَرَ الْمَقْصِدَ وَالْغَايَةَ مَعَ الْوَسِيلَةِ وَالطَّرِيقَةِ فِي آيَةِ وَاحِدَةٍ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [النحل: ٩٧]

فَذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْغَايَةَ، وَأَرَدَ بِهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالطَّرِيقَةِ وَالْوَسِيلَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهَا؛ أَنْ تَعِيشَ سَعِيدًا، وَأَنْ تَمُوتَ حَمِيدًا، وَأَنْ تُبْعَثَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

طَرِيقُكَ إِلَى ذَلِكَ: الْإِيمَانُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَإِذَا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، وَأَتَوْا بِهِذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ؛ تَحَقَّقَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالْجَزَاءِ الْحَسَنِ.

وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ حَيَاةُ الْعِزَّةِ، وَحَيَاةُ الْكَرَامَةِ، وَحَيَاةُ الشَّرَفِ، وَحَيَاةُ الْإِطْمِئْنَانِ وَنَفْيِ الْقَلْقِ.

الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ حَيَاةُ الْإِسْتِعْلَاءِ بِالْإِيمَانِ فَوْقَ مُتَطَلِّبَاتِ الْأَرْضِ وَمُقْتَضَيَّاتِ الطَّيْنِ.

الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَزَاءُ الْحَسَنُ، لَمَّا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ؛ آتَاهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الرُّفْعَةَ وَالسِّيَادَةَ وَقِيَادَةَ الْعَالَمِ.

وَالْمِثَالُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي هَذَا الْمَجَالِ: هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي قَوْمٍ أُمِّيِّينَ، لَيْسَ لَهُمْ حِطٌّ وَلَا نَصِيبٌ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا مِنَ الْحَضَارَةِ، تُفْنِيهِمُ الْحُرُوبُ، يُشْنُّ أَوَارِثُ تِلْكَ الْحُرُوبِ بَيْنَهُمْ لَاتَفَهُ الْأَسْبَابِ، وَيَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا!

وَبَعَثَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، فَلَمَّا اتَّبَعُوا الرَّسُولَ ﷺ، فَاْمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا؛ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى كَانُوا سَادَةَ الْعَالَمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَدُكَّتْ أَمَامَ رَحْفِهِمْ بِكَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» الْحُصُونُ، وَسُوِّيَتِ الْأَسْوَارُ، وَثَلَّتِ التِّيْجَانُ، وَهُدِمَتِ الْعُرُوشُ لَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ؛ بِالْإِيْمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَيُؤْتِي اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَتَى بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، فَاْمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا؛ يُؤْتِيهِ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، مَعَ مَا يَعِدُهُ بِهِ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ، فِي جَنَّةِ الْإِقَامَةِ بِالْكَرَامَةِ.

وَلَمَّا تَرَكَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، فَضَعُفَ الْإِيْمَانُ وَرَقَّ، وَخَفِيَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَوْ كَادَ يَزُولُ؛ سُلِّطَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمَمُ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الذَّلِّ مَا هُوَ مَعْلُومٌ لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ، وَأَتَاهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ مَا يُوعَدُونَ؛ جَزَاءً مَنْ أَعْرَضَ عَنْ دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا يَأْخُذُهُ بِقُوَّةٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُؤْخَذَ الدِّينُ.

الْإِيْمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ سِرُّ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، مَعَ مَا يَعِدُهُ بِهِ رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ. (*)

* وَمِنْ الثَّمَرَاتِ الْعَظِيمَةِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ: اسْتِمْرَارُ الْأَجْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ ١٤٢٨ هـ: «الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَزَاءُ الْحَسَنُ» - السَّبْتُ ١

فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بَيْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ^(١). رَوَاهُ الْبَزَارُ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ. (*)

* وَمِنْهَا: تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَتَبْدِيلُهَا حَسَنَاتٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧].

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ إِيمَانًا صَاحِحًا صَادِقًا، وَعَبَّرُوا عَنْ صِدْقِ إِيمَانِهِمُ الْإِرَادِيَّ الْإِعْتِقَادِيَّ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ؛ لَنَذْهَبَنَّ عَنْهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ، وَلَنَسْتُرَنَّهُمَا بِالْحَسَنَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ عَلَيْهَا، وَلَنُثَبِّتَنَّهُمْ بِكُلِّ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْأَحْسَنُ مِنْ سَائِرِ أَعْمَالِهِمُ الْمُبَاحَةِ وَالسَّيِّئَةِ، وَنُعْطِيهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا عَمِلُوا ضَمَنَ قَانُونِ الْمُكَافَاتِ: الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. (*) (٢/).

(١) أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٤٨٣/١٣)، رَقْمُ (٧٢٨٩)، وَابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي «الْمَصَاحِفِ»: (ص ٤٦٣)، وَابْنُ حَبَانَ فِي «الْمَجْرُوحِينَ»: (٢/٢٤٧)، تَرْجُمَةُ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَرَزَمِيِّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ»: (٢/٣٤٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»: (٥/١٢٢)، رَقْمُ (٣١٧٥).

وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (١/٥٦٦)، رَقْمُ (٩٥٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ كَيْفَ نَحْيَاهُ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ - ٣ - ٨ - ٢٠١٢ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيلُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [العنكبوت: ٧].

* وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: عِظَمُ الْجَزَاءِ، وَصُحْبَةُ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ،

قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا صَاحِحًا صَادِقًا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الْمُعْبَّرَةَ عَنْ صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ؛ كَانَتْ لَهُمْ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَفْضَلُهَا؛ مَنْزِلًا مُعَدًّا لِضِيَافَتِهِمْ. (*)

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ دَوَامًا فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَيُطِيعِ الرَّسُولَ فِي السُّنَنِ الَّتِي سَنَّهَا؛ فَأُولَئِكَ الْفَضْلَاءُ ذُوو الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فِي صُحْبَةِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْهَدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ فِي الدُّنْيَا، وَبَدْخُولِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ فِي مَنْازِلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى؛ مِنَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَنْبَأَهُمُ اللَّهُ وَاخْتَارَهُمْ؛ لِيُخْبِرُوا عَنْهُ -تَعَالَى-، وَيَبْلُغُوا شَرْعَهُ.

وَمَعَ كَثِيرِي الصَّدَقِ فِي إِيْمَانِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِكُلِّ الدِّينِ.

وَمَعَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا الْحَقَّ، وَعَلِمُوهُ كَعِلْمِ الْمُعَايِنَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ، وَاسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبَذَلُوا أَرْوَاحَهُمْ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَمَعَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الكهف: ١٠٧].

وَنِعْمَتِ الصُّحْبَةُ صُحْبَةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي مَنَازِلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. (*)

وَكَمَا أَنَّ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ آثَارَهُ؛ فَإِنَّ لِلْعَمَلِ السَّيِّئِ آثَارَهُ الَّتِي تَقَعُ عَلَى صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْهَا: الضَّلَالُ وَالْحَيْرَةُ وَالتَّخَبُّطُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذِيبُ نَفْسًا عَنْهُمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]. (*٢).

* وَمِنْ أَثَارِ الْعَمَلِ السَّيِّئِ: الْحَيَاةُ الْمُضْطَّرِبَةُ غَيْرَ الْمُسْتَقَرَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]. (*/٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ عُقُوبَتِهِ الْبَلِيغَةَ بِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ؛ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾؛ أَي: يُعْرِضُ وَيَصُدُّ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَفْهُومُ الشَّهَادَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْإِدْعَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَجَبِ ١٤٤٠ هـ / ٨-٣-٢٠١٩ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَحْدَاثُ الْبَطْرِسِيَّةِ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ | ١٦-١٢-٢٠١٦م.

(*)/٣ ما مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «ذِكْرُ اللَّهِ وَطِيفَةُ الْحَيَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ | ١٥-٩-٢٠١٧م.

﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ رَحْمَةٍ رَحِمَ بِهَا الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ، فَمَنْ قَبِلَهَا فَقَدْ قَبِلَ خَيْرَ الْمَوَاهِبِ، وَفَازَ بِأَعْظَمِ الْمَطَالِبِ وَالرَّغَائِبِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا وَرَدَّهَا؛ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ خَسَارَةً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَفِيضَ لَهُ الرَّحْمَنُ شَيْطَانًا مَرِيدًا يُقَارِنُهُ وَيُصَاحِبُهُ، وَيَعِدُّهُ وَيُمْنِيهِ، وَيُؤْزُهُ إِلَى الْمَعَاصِي أَزًّا، وَمِنْ تَمَامِ عَدْلِهِ: أَنْ جَعَلَ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ. (*)

* وَمِنْ عَوَاقِبِ الْعَمَلِ السَّيِّئِ: سُوءُ الْمَصِيرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

إِنَّ الَّذِينَ يَعْتَدُونَ عَلَى أَمْوَالِ الْيَتَامَى بِسَائِرِ أَنْوَاعِ التَّصَرُّفَاتِ الرَّدِيئَةِ الْمُتْلِفَةِ لِلْمَالِ حَرَامًا بِغَيْرِ حَقٍّ؛ سَيَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا تَحْرِقُ بُطُونَهُمْ، وَتَشْوِي أَحْشَاءَهُمْ، وَسَيَدْخُلُونَ نَارًا هَائِلَةً مُشْتَعِلَةً، يَحْتَرِقُونَ فِيهَا؛ جَزَاءَ أَكْلِهِمْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا. (* / ٢).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٣) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَاصَمَتْهُ أَرْوَى بِنْتُ أُوَيْسٍ عِنْدَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فِي أَرْضٍ ادَّعَتْ أَنَّهُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى: مُقَدِّمَةُ الْمُصَنَّفِ)، الْأَحَدُ ١٩ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨ هـ / ١٠-٩-٢٠١٧ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ: مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [النساء: ١٠].

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رَقْمُ ٣١٩٨)، وَ«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (رَقْمُ ١٦١٠).

اِغْتَصَبَهَا مِنْهَا، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَجَاءَ فَتَلَيْتَ عَرِيضَةَ الدَّعْوَى بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَنَا
كُنْتُ أَخْذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟!!!

قَالَ مَرْوَانُ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اِغْتَصَبَ شِبْرًا مِنْ أَرْضٍ؛ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ
أَرْضِينَ».

قَالَ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَهَا. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ» - ٢٠ مِنْ رَجَبِ ١٤٣١ هـ | ٢-٧-٢٠١٠ م.

اِغْتِنَامُ الْعُمْرِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ

عَبَدَ اللَّهَ! لَنْ يَنْفَعَكَ أَحَدٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ، سَتَمُوتُ وَحَدَكَ!!

وَتُقْبَرُ وَحَدَكَ!!

وَتُسْأَلُ فِي الْقَبْرِ وَحَدَكَ!!

وَتُبْعَثُ وَحَدَكَ!!

وَتُنْشَرُ وَحَدَكَ!!

وَتُعْرَضُ عَلَى رَبِّكَ وَحَدَكَ!!

وَتَمُرُّ عَلَى الصِّرَاطِ وَحَدَكَ!!

وَتُحْبَسُ - إِنْ أَذِنَ اللَّهُ بِدُخُولِكَ الْجَنَّةِ - عَلَى الْقَنْطَرَةِ - وَهِيَ طَرَفُ الصِّرَاطِ

مِمَّا يَلِي الْجَنَّةَ - وَحَدَكَ!!

وَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَحَدَكَ، أَوْ تُعَذَّبُ فِي النَّارِ وَحَدَكَ!!

لَنْ يُعَذَّبَ عَنْكَ أَحَدٌ؛ فَاحْمِلْ مَسْئُولِيَّتَكَ، الْحَيَاةُ لَيْسَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى التَّهْرِيجِ،

لَا وَقْتُ لِلتَّهْرِيجِ وَالْعَبَثِ، الْحَيَاةُ ثَوَانٍ مَعْدُودَةٌ، لَا بُدَّ أَنْ نَسْتَغْلَهَا.

وَتَأَمَّلْ فِي حَالِ إِنْسَانٍ تَصِفُهُ أَنْتَ بِالْعَقْلِ، يَمُرُّ فِي طَرِيقٍ، يَجِدُ دُرَّةً وَيَجِدُ
بَعْرَةً، فَيَلْتَقِطُ الْبَعْرَةَ وَيَدَعُ وَيَتْرُكُ الدَّرَّةَ؛ هَذَا سَفِيهٌ!!

لَحْظَةً تَمُرُّ مِنْكَ تَأْتِي خِزَانَةٌ فَارِعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَكَيْفَ إِذَا وُجِدَ فِي الْخِزَانَةِ مَا
يُضْرُكُ؟!!!

«وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي
بِهَا فِي جَهَنَّمَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢).

«وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ
يَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ»^(٣)، وَفِي الْمُقَابِلِ مَا يُرْضِي اللَّهَ!

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١١ / ٣٠٨، رقم (٦٤٧٨).

وفي رواية له أيضا: ١١ / ٣٠٨، رقم (٦٤٧٧)، ولمسلم في «الصحيح»: ٤ / ٢٢٩٠،
رقم (٢٩٨٨)، بلفظ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ،
أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١١ / ٣٠٨، رقم (٦٤٧٧)، ومسلم في «الصحيح»:
٤ / ٢٢٩٠، رقم (٢٩٨٨)، وقد تقدم.

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٤ / ٥٥٩، رقم (٢٣١٩)، وابن ماجه في «السنن»: ٢ /
١٣١٢، رقم (٣٩٦٩).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَفِي الْبَابِ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ»، والحديث صححه
الألباني في «الصحيحة»: ٢ / ٥٤٩، رقم (٨٨٨).

الْحَيَاةُ صَعْبَةٌ.. مِحْنَةٌ.. لَيْسَ فِيهَا عَبَثٌ، وَلَا هِيَ بِمُتَحَمِّلَةٍ لِلْعِبِّ!!
تَأَمَّلْ فِي حَالِكَ، وَخُذْ بِقَوْلِ نَبِيِّكَ ﷺ: «وَاحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»^(١).

إِنْ كَانَ التَّهَرُّجُ يَنْفَعُكَ هَرَجٌ!!

إِنْ كَانَ الْعَبَثُ يَنْفَعُكَ اِعْبَثْ!!

إِنْ كَانَ تَضْيِيعُ الْوَقْتِ يَنْفَعُكَ ضَيِّعْ وَقْتَكَ.. مَا دَامَ يَنْفَعُكَ!!

فَأَمَّا إِذَا كَانَ سَيِّئُ وَيَكُونُ عَلَيْكَ وَبَالًا وَيُنْزِلُ بِكَ ضَرَرًا؛ يَعْنِي لَنْ يَمُرَّ لَا لَكَ
وَلَا عَلَيْكَ، لَوْ مَرَّ لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ فَهُوَ أَهْوَنُ!!

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُضَيِّعُونَ أَعْمَارَهُمْ فِيمَا لَا يُفِيدُ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَحْتَرِمُونَ الْوَقْتَ
أَصْلًا!!

عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ^(٢) كَانَ فِي طَرِيقِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: «أُرِيدُ أَنْ أَكَلِّمَكَ
كَلِمَةً».

قَالَ: «وَلَا نِصْفَ كَلِمَةٍ».

قَالَ: «فَتَوَقَّفْ حَتَّى أَكَلِّمَكَ».

قَالَ: «أَمْسِكِ الشَّمْسَ»^(٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، يُعْرَفُ بِ«ابْنِ عَبْدِ قَيْسٍ»، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ الْعَنْبَرِيُّ الْبَصْرِيُّ، مِنْ
عُبَادِ التَّابِعِينَ، رَأَاهُ كَعْبُ الْأَخْبَارِ، فَقَالَ: «هَذَا رَاهِبٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»، تُوفِّيَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «التبصرة»: (٢/ ٢٩١)، وفي «صيد الخاطر»: (ص ٤٩٢ و ٥٠٥)

يَعْنِي: أَوْقِفِ الزَّمْنَ عَنْ دَوْرَانِهِ.. عَنْ جَرْيَانِهِ، حَتَّى لَا يَكُونَ مَا أَضِيعُهُ مِنَ
الْوَقْتِ مَعَكَ لَا لِي وَلَا عَلَيَّ، وَلَكِنْ لَا تُضِيعْ عَلَيَّ وَقْتِي!!
يَقُولُ لَهُ: «أَمْسِكِ الشَّمْسَ!!».

ضِيعَ وَقْتِكَ أَنْتَ كَمَا تُحِبُّ، هَذَا شَأْنُكَ، وَلَكِنْ لَا تُضِيعِ أَوْقَاتَ غَيْرِكَ!
اتَّقِ اللَّهَ! كُنْ جَادًّا مُتَرَفِّعًا، لَا تَكُنْ عَابِثًا وَلَا هَازِلًا وَلَا مَائِعًا!!
جَاءَ رَجُلٌ -هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرِ- إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ
شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَذَلِّلْنِي عَلَى أَمْرِ أَتَمَسَّكَ بِهِ جَامِعٌ».
فَدَلَّلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَمْرٍ قَدْ يَبْدُو غَيْرَ ذِي قِيَمَةٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ:
«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ»^(١).

كُلُّ ثَانِيَةٍ اجْعَلْ فِيهَا ذِكْرًا، اجْعَلْ فِيهَا تَسْبِيحًا! سَتَحْتَاجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
تَحْتَاجُ حَسَنَةً وَاحِدَةً تَكُونُ مُرَجَّحَةً وَفَاصِلَةً، وَإِلَّا فَيُحْبَسُ مَنْ تَسَاوَتْ
حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ عَلَى الْأَعْرَافِ حَتَّى يَفْصَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ،
وَيَصِيرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لِلْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ لِلنَّارِ، وَيُدْخِلُهُمُ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ جَنَّتَهُ
بِرَحْمَتِهِ -وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ-.

=

وفي غيرهما، وعنه ابن مفلح في «الأداب الشرعية»: (٣/ ٤٧٤)، والسفاريني في «غذاء
الألباب»: (٢/ ٤٤٨).

(١) أخرجه الترمذي (الدعاء، ٤، رقم ٣٣٧٥)، وابن ماجه (الأدب، ٥٣: ٤، رقم ٣٧٩٣)،
وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٩١).

وَلَكِنْ إِذَا لَمْ تَتَسَاوِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وَزَادَتِ السَّيِّئَاتُ عَلَى الْحَسَنَاتِ؛
فَهَذَا فِي النَّارِ - إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ شَيْئًا فَيَرْحَمُهُ -.

تَحْتَاجُ حَسَنَةً، سَتَمُضِي وَرَاءَ أَبِيكَ فِي الْقِيَامَةِ.. أَنْتَ!!
أَنَا أَقُولُ لَكَ: أَنْتَ! لَا أَقُولُ سَيَجْرِي وَرَاءَ أَبِيهِ غَيْرُكَ، أَنْتَ سَتَجْرِي وَرَاءَ
أَبِيكَ فِي الْعَرَصَاتِ.. يَا أَبَتِ! أَيُّ ابْنٍ كُنْتُ لَكَ؟
يَقُولُ: خَيْرَ ابْنٍ كُنْتُ.

أُرِيدُ مِنْكَ الْيَوْمَ حَسَنَةً!!
يَقُولُ: لَا، أَخَافُ الْيَوْمَ مِمَّا مِنْهُ تَخَافُ!!
سَيَجْرِي أَبُوكَ وَرَاءَكَ، يَقُولُ لَكَ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكَ؟!!
تَقُولُ: خَيْرَ أَبٍ كُنْتُ.
فَيَقُولُ: أُرِيدُ مِنْكَ الْيَوْمَ حَسَنَةً!!

تَقُولُ: أَبَدًا، أَخَافُ الْيَوْمَ مِمَّا مِنْهُ تَخَافُ!!
أَمْكَ.. أَخْتُكَ.. مَسْئُولِيَّةُ فَرْدِيَّةٍ، احْرِصْ عَلَى نَفْسِكَ، لَا تُضَيِّعْ وَقْتَكَ، لَا
تُضَيِّعْ حَيَاتَكَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَنْفَاسٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ نَفْسٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ!! كَمَا قَالَ
الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّمَا أَنْتَ أَنْفَاسٌ، فَكُلَّمَا ذَهَبَ نَفْسٌ ذَهَبَ
بَعْضُكَ!!»؛ يَعْنِي: تَقْتَرِبُ مِنَ الْقَبْرِ خُطْوَةً.

كُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ عَلَيْكَ يُقَرِّبُكَ مِنَ الْقَبْرِ خُطْوَةً.. عُمْرُكَ مَحْدُودٌ بَدْءًا وَمُنْتَهَى،
لَنْ يَزِيدَ وَلَنْ يَنْقُصَ، وَلَكِنَّهُ مَحْدُودٌ، نِهَائِيَّتُهُ مَعْلُومَةٌ لِلَّهِ، لَا لِي وَلَا لَكَ وَلَا
لِلْبَشَرِ وَلَا لِلْخَلْقِ؛ لِلَّهِ.

أَيْنَ هِيَ؟!؟

لَا تَعْلَمُ، قَدْ تَكُونُ الْآنَ، بَعْدَ لَحْظَةٍ، بَعْدَ لَحْظَتَيْنِ، بَعْدَ سَاعَةٍ.. سَاعَتَيْنِ
تَمْتَدُّ، وَتُدْرِكُهَا -أَيْضًا- مَهْمَا امْتَدَّتْ!!

وَرَأَيْنَا مَنْ جَاوَزَ الْمِئَةَ ثُمَّ مَاتَ، فَكَانَ مَاذَا؟!؟

نَسِي..

لَنْ تَنْفَعَكَ عَشِيرَتُكَ، سَيَنْسُونَكَ، سَيَنْسَاكَ أَبْنَاؤُكَ، لَنْ يَذْكُرُوكَ!!
سَوْفَ يَتَمَتَّعُونَ بِمَا تَتْرُكُ، حَصَلَتْهُ أَنْتَ مِنْ حَرَامٍ، مِنْ شُبْهَةٍ، مِنْ غَضَبٍ، مِنْ
رِشْوَةٍ، مِنْ سَبِيلٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ، يَتَمَتَّعُونَ بِهِ وَتَلْقَى أَنْتَ الْعَذَابَ!!
أَفِقْ! لَا وَقْتَ لِلضَّيَاعِ!!

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «أَفِقْ! لَا وَقْتَ لِلضَّيَاعِ!!» - ٢٨-٧-٢٠١٥ م.

الفهرس

٣	المُقَدِّمَةُ
٤	اسْتِخْلَافُ اللَّهِ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ وَتَكْرِيمُهُ
٦	أَمَانَةُ الْإِنْسَانِ الثَّقِيلَةُ وَسُبُلُ الْوَفَاءِ بِهَا
١٠	مَفْهُومُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الْإِسْلَامِ
١٣	جُمْلَةٌ مِنْ صُورِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
١٦	أَعْظَمُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ
٢٠	مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ
٢٤	مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: ذِكْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
٣٤	مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
٤٠	مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الصَّدَقُ وَطِيبُ الْقَوْلِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ
٤٤	مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْعَظِيمَةِ: الْعَمَلُ وَالسَّعْيُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ
٥٢	مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: النَّفْعُ الْعَامُّ لِلْغَيْرِ مَادِّيًّا وَمَعْنَوِيًّا

- ٥٦ مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الْبِنَاءُ وَالتَّعْمِيرُ.
- ٦١ مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانَاتِ.
- ٦٤ مَفْهُومُ الْعَمَلِ السَّيِّئِ وَجُمْلَةٌ مِنْ صُورِهِ.
- ٦٨ أَقْبَحُ الْعَمَلِ السَّيِّئِ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
- ٧٤ مِنْ أخطرِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ: الْبَدْعُ.
- ٧٩ مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ.
- ٨٥ مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ: الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ.
- ٨٩ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَتَضْيِيعُ الْأَهْلِ.
- ٩٣ مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْمَالِ وَأَضَرِّهَا: آفَاتُ اللِّسَانِ.
- ٩٧ مِنْ أَقْبَحِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُسْتَهَانُ بِهَا: السَّبُّ وَاللَّعْنُ وَالْبَدَاءُ.
- ١١٣ ثَمَرَاتُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَعَوَاقِبُ الْعَمَلِ السَّيِّئِ.
- ١٢٣ اغْتِنَامُ الْعُمْرِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.
- ١٢٩ الْفَهْرُسُ.

